منشورات ابن النديم
Editions Ibn nadim

الدكتور نسيم بلهول

في العمق الصهيوني للقوة الإيرانية

سراب القوة



ابن النديم للنشر والتوزيع

الدكتور نسيم بلهول

أستاذ العلوم السياسية وخبير في الشؤون الأمنية و الإستراتيجية، جامعة الجزائر.

هذا الكتاب

الكتاب يسلط الضوء على اتجاهات الدين كعامل أساسي في توجيه المسارات المصيرية للعلاقات الدولية، خاصة إذا ما تعلق الأمر بقضايا مصيرية ترتبط و جوهر مستقبل الكيان الصهيوني في المصفوفة الدولية و على رقعة شطرنج باتت أحجارها منكشفة لمن يستجمع الخط العقدي و العمق التاريخي في حركة الأهداف الماسونية في منطق غير مألوف يعبر عن حقائق باتت غريبة على منطق العمي خريجي مدرسة المؤامرات، في انقيادية تبعد صاحبها عن أية محاولة للوقوف على معلومات باتت من المسلمات عندما توضع على الخط العقدي منه، لتظهر إيران من خلال صفحات هذا العمل الراعي بالنيابة لمصالح الكيان الصهيوني في العالم الإسلامي و في المنطقة العربية على وجه الخصوص، مستميتة في تقديم خدماتها لهذا الكيان تحت إيقاع قيمي يخترق الجسد الجغراسي للعالم الإسلامي في ضبطية ماسونية و اختراقية فريدة من نوعها للمآلات و التحولات في منطقة الشتات العربي.

و لهذا يأتي هذا الكتاب مؤيدا –وفقا للمعطيات التاريخية العقدية الشأن – الإتجاه الذي يعتبر أن إيران الإسلامية صنعة صهيونية بحتة، و أنها تابع مطلق لمصدر الصنعة، مستندين في ذلك إلى شواهد فكرية و أصول نظرية تتعلق بالحركات الباطنية التي أعملت في الجسد الإيراني على غرار البابية والبهائية، كرواسب للعمل الماسوني في هذا الجزء من الكيان الإسلامي الأوسع. و إلى الدعم الذي واكب قيام الثورات الإيرانية على غرار الثورة الخمينية غربا !، و إلى جملة من الأحداث التي تعطي مؤشرا بهذا الإتجاه. فأي موقف أو تفسير خارج إطار هذه الرؤية هو من قبيل المسرحية و الرتوش الضرورية للتأكيد على أن العلاقة القائمة بين هذين الطرفين هي علاقة العداء المستحكم، و هي صورة يرغب كلا الطرفين صناعتها لدى أتباعه و في المنطقة لتحقيق مآرب أخرى.


ISBN 978-9931-369-62-2

ابن النديم للنشر والتوزيع

الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل رقم 1 المحمدية

تلفاكس: 21341357988

خلوي: 213661207603

email: nadimedition@yahoo.fr

في العمق الصهيوني
للقوة الإيرانية

في العمق الصهيوني للقوة الإيرانية

سراب القوة

الدكتور نسيم بلهول

ابن النديم للنشر والتوزيع

في العمق الصهيوني للقوة الإيرانية
تأليف: الدكتور نسيم بلهول

الطبعة الأولى، 2014
عدد الصفحات: 148
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي ISBN: 978-9931-369-62-2
الإيداع القانوني 150-2014

ابن النديم للنشر والتوزيع
الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل رقم 1، المحمدية
خلـــوي: 03 76 20 661 213+
وهــران: 51 شارع بلعيد قويدر
ص.ب. 357 السانيا زرباني محمد
تلفاكس: 88 97 35 41 213+
خلـــوي: 03 76 20 661 213+
Email: nadimedition@yahoo.fr

المحتويات

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ
إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
صدق الله العظيم

[سورة التوبة: 32]

مقدمـــة

بالرغم من أن الدين لم يلعب دورًا هامًا في التوجهات التي سادت دراسة العلاقات الدولية في الفترة منذ الخمسينات وحتى أواخر السبعينات من القرن الماضي (القرن العشرين)، إلا أن مراجعة الكتابات الغربية في المرحلة التالية توضح أن هناك تزايداً في الاهتمام بدراسة دور الدين في تحليل العلاقات الدولية، بل لقد جعل البعض من الدين أحد مصادر الإبداع النظري في العلاقات الدولية، والتي يمكن أن تساعد على بلورة نظرية لاختبار فروض معينة في الواقع. وقد ارتبط تحليل البعد الديني في مرحلة من مراحل تطور العلاقات الدولية، بدراسة وتحليل القيم، حيث أشار عدد من الباحثين والمحللين إلى أن فكرة القيم في العلاقات الدولية في الأدبيات الغربية تتزعمها مدرستان:

الأولى: ترى أنه من العبث التمسك بقيم في عالم السياسة الدولية الذي لا يعرف إلا المصلحة، وأن تمسك دولة بالأخلاق يعنى استسلامها في موقف ما للطرف الآخر الذي لن يتبع نفس قواعد السلوك، وفي هذا الإطار يعتقد مورغانتو أن الأخلاق ضرورية في العلاقات الدولية ولكنه يناهض المبرر الأخلاقي للسياسة الدولية وهو ما يسميه بـ"أيديولوجية الأخلاق" أي أن المبادئ الأخلاقية تخفي وراءها المصالح الخاصة، كما يدين الاطلاقية الأخلاقية ويسميها "بالنزعة العاطفية" لأنها تغطي طبيعة السياسي وتركز فقط على القيمة الأخلاقية على حساب القيم الأخرى. ويرى أنه يمكن عن طريق توازن القوى، تحقيق النظام والإستقرار للجميع، وإيجاد

حالة تخلو من صراعات مسلحة، أي أن الأمر يتطلب أخلاقية المسؤولية و"المصلحة العليا للدولة" أي للدولة ولمواطنيها. وعلى القادة أن يكونوا أخياراً إذا أمكن وأشراراً إذا استدعت الضرورة ذلك.

الثانية: وترى أن الحديث عن القيم لا يعنى تجاهل الواقع، بل ترشيده حتى لا ينغمس العاملون فى المجال السياسي فى الحسابات البراغماتية الوقتية متجاهلين السؤال الملح عند وضع السياسة الخارجية: من نحن؟، ماذا نريد أن نكون؟. وينتمي إلى هذه المدرسة عدد من الباحثين الغربيين الذين يوضحون أهمية دور القيم فى التفاعلات الدولية، ومن بينهم: ستانلى هوفمان،الذي يرى أن مسألة القيم فى السلوك الخارجي تكمن أهميتها فى حجم الواجبات والحقوق أو المسئولية التى تقع على الفرد، وأن المسألة الأخلاقية الدولية أثارت تساؤلين دار حولهما البحث، وهما: هل هناك خيار قيمي فى العلاقات الدولية؟ وإذا كان هناك، فما هي حدود هذا الخيار؟. وانتهى إلى أنه لا توجد شريعة عالمية تحكم سلوك الدول الخارجي، بل تحكمها الأنانية، ويلفت النظر إلى صعوبة وجود قيم معينة فى عملية صنع القرار فى ظل العوامل الذاتية مثل تفاوت إدراك صانع القرار من شخص لشخص، ومن دولة لأخرى. ويذهب إلى أن هناك هرمًا من القيم، قاعدته قيم الفرد، ثم قيم الجماعة، ثم قيم صانع القرار الذي يحتل قمة الهرم، ويرى أن إشكالية نسبية القيم تبقى مطروحة فى التفاعلات الدولية.

أما جوزيف ناى وشلزنغر، فقد طرحا قضية العلاقة بين الأخلاق والجماعة الدولية، ويريان أنه من الخطورة بمكان قياس الأخلاق الدولية على الأخلاق الفردية وذلك لعدة أسباب: إختلاف أوضاع وظروف الدول عن الأفراد، وأن موضوعات السياسة الخارجية يصعب تصنيفها من حيث "جيد" و"سيئ"، بل هي أقرب إلى مناسب وغير مناسب، كما أنه لا يوجد إجماع أخلاقي دولي كما هو الحال داخليًا، كما أن هذا سيضيف مشاكل إلى السياسة الخارجية لأي دولة، حيث ستبدأ فى تقويم سياسات الدول الأخرى أخلاقيًا وتنشغل بتصنيفها إلى دول أخلاقية وأخرى غير أخلاقية، مما سيترتب عليه مشاكل عديدة، كما أن هذه النظرة الأخلاقية سوف تعرقل

العمل الدبلوماسي الذي هو فى جوهره توفيق بين المصالح. إلى جانب هذا يرى إرنست هاس، أن الدول لن تتصرف كأفراد، وقياس السلوك الدولي على السلوك الفردي ليس مجديًا، لكن هذا لا يعنى أن نطرح مسألة الأخلاق جانبًا. ويقترح ضرورة دراسة العناصر المتشابهة فى النظم الأخلاقية المتعارضة أو المتصارعة، كما يعتقد أنه يجب التأثير على الحكومات بهدف الوصول إلى أخلاقية عالمية، وهذا يتطلب التعرف على المستوى الدولي بشكل يسمح بتوقع التصرفات المتبادلة بين البدائل الإستراتيجية بشكل لا يستبعد أي بديل منها، كما أنه اعتمادًا على المنفعة الذاتية يمكن بلورة هذه الأخلاقية العالمية، ويصبح الردع ذاته أخلاقيًا إذا استخدم فى المدى المتوسط كسياسة لتغيير الإدراك العدائي بين الأطراف المتصارعة على المدى البعيد. ومن هذين التيارين، يمكن الوقوف على مجموعة من الملاحظات:

1 - أنه نظرًا للإختلافات الفكرية بين الباحثين المؤيدين لأهمية دور الدين (بأبعاده المختلفة ومنها القيم) في العلاقات الدولية، فليس هناك تعريف مشترك لما هو أخلاقي كإطار عام للتحرك الدولي، أو حدًا أدنى من الإتفاق حول ماهية القيم التى يمكن أن تحكم العلاقات الدولية.

2 - يثير البعد الديني في العلاقات الدولية قضية العلاقة بين الأخلاق الفردية والأخلاق الجماعية الدولية، وإمكانية قياس كل منها. وإثارة مشكلة القياس الجماعي والفردي ترتبط بغياب التنظيم الجماعي فى الثقافة المسيحية المستمدة من الدين المسيحي. أما الإسلام فقد نظم الإثنين كلاً على مستواه، وبالتالي لا توجد حاجة للقياس والخلط، فهناك الإثنان وكل منهما له قواعده.

3 - إنه مع اعتراف البعض بأهمية القيم فى السياسة الخارجية إلا أنهم يؤكدون أنه لا توجد مبادئ مجردة وعالمية (إلا فى بعض الحالات الإستثنائية) تحكم السياسة الخارجية.

4 - يرى بعض المؤيدين للإهتمام بالبعد الديني فى تحليل العلاقات الدولية أن الإنتقال المنهجي يكون مما هو قائم إلى ما يجب أن يكون وليس العكس، فأخلاقية صانع القرار هي أخلاقية مسئوليةً وليست أخلاقية اقتناعاً،

أي أن ما يقتنع أو يؤمن به السياسي يجب أن يخرج إلى حيز الواقع بعد مروره بحساب التكلفة، فما هو جيد فى الحسابات السياسية يرتبط بما هو ممكن.

غير أن التطورات التي شهدها العالم المعاصر وخاصة مع انتهاء الحرب الباردة، وسقوط المعسكر الشيوعي، الذي عرف بطبيعته الإلحادية وتغييبه للجانب الديني والقيمي، كانت دافعاً لتصاعد التيارات الفكرية المنادية بإعادة الإعتبار للأبعاد الدينية والقيمية في دراسة العلاقات الدولية، وأصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليه المنظور الدينى في دراسة وتحليل العلاقات الدولية. ومن ناحية أخرى فإنه من الصعب تجاهل تأثير المعتقدات الدينية التي يؤمن بها العديد من الباحثين على ما ينادون به من مقولات، وما يضعونه من مداخل واقترابات تحليلية في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية، ومنها علم العلاقات الدولية، وفي هذا الإطار، يأتي التأكيد على التأثير الكبير للديانات السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام) على قطاع عريض من الباحثين والمحللين، في حقل العلاقات الدولية، وأن جانباً كبيراً من مقولاتهم الفكرية والتحليلية، إنما تجد جذورها في المعتقدات الدينية التي يؤمنون بها. ويستخدم هؤلاء الباحثون تصورات دينية وقيمية فى تحليلاتهم. فالمعتقدات والإعتبارات الدينية كانت وراء أعمق الأحداث والتحولات السياسية العالمية (كالفتح الإسلامي والحروب الصليبية، والحروب الأوروبية فى القرون الوسطى)، ولم يكن إقصاء الدين عن الحياة السياسية خلال القرون الأخيرة حائلاً دون تسرب الدوافع الدينية إلى العمل السياسي. فقد شهد النصف الثانى من القرن العشرين بروز الدوافع الدينية بروزاً واضحاً فى العمل السياسي العالمي، وتمثل ذلك في العديد من المؤشرات لعل أوضحها قيام عدد من الدول على أسس دينية (إيران، باكستان وإسرائيل)، وكذلك تعدد الجماعات والتيارات الدينية العابرة للقوميات، والتي لم تقتصر علي ديانة بذاتها، بل شملت كل الديانات السماوية، فيما عرف بالمد الأصولي أو "الصحوة الدينية" سواء في المسيحية أو اليهودية، أوالإسلام. وتصاعد تأثير هذه الجماعات فى صياغة وتشكيل السياسات العالمية. وفي إطار هذا المنظور يمكن التمييز بين ثلاثة

مداخل أساسية، ارتبط كل منها بديانة محددة، مع الأخذ في الإعتبار إحتمالات التداخل بين هذه المداخل، في ظل ما ينادي به البعض من تراث حضاري مشترك، وموروث ثقافي متشابك: هي والمدخل الإسلامي، والمدخل الغربي، والمدخل الصهيوني:

وما يهمنا هنا هو تناول الموضوع من باب المدخل الصهيوني: فلقد استضاف برنامج الأمن الدولي في مركز نيكسون في الرابع والعشرين من أكتوبر 2003م مؤتمرا لاستكشاف علاقة الدور الذي يمكن أن تقوم به القيم الباطنية -الحركة الروحية داخل الإسلام- ضمن أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية وخلفها الكيان الصهيوني، وكان هدف الإجتماع تعريف صانعي السياسة ومجتمع صناعة القرار بهذا الجزء المهمل من الإسلام، والذي يشار إليه غالباً بـ "الإسلام الثقافي". ويمارس هذه القيم الباطنية (من قاديانية وبهائية ونقشبندية...) ملايين من الناس حول العالم ومن ضمنه الولايات المتحدة الأمريكية. وقد ركز الإجتماع أساساً على منطقة أوراسيا التي تضم أكبر الطرق الباطنية وهي البابية البهائية، وكذلك المذاهب الشيعية والطرق الصوفية في إيران. فباستثناء دول عربية وإسلامية قليلة بل ودول غربية - ومراحل تاريخية محددة - مثلت السيطرة اليهودية على مجريات الأمور في غالب بلدان العالم ظاهرة تستحق البحث والدراسة، وليس معنى هذا أن العالم بأسره قد تهود أو تصهين، أو أنه يعمل بكافة دوله لخدمة اليهود، وإنما في الأمر تفاصيل غاية في التعقيد، لكننا على أية حال يمكننا القول أن مبدأ المصلحة والنفعية هو المبدأ الأكثر تأثيرا في هذه المعادلة، إلى جانب ذلك لا يمكننا بحال من الأحوال إغفال الدور الخطير الذي قام به اليهود من ذوي السلطة والمال المنتشرين في كافة أقطار العالم، الإسلامي منها وغير الإسلامي.

وكان للدور اليهودي في الدول الإسلامية على وجه التحديد أثره البالغ قديما وحديثا، سيما في الشأن الإيراني، وفي هذه المذكرة ليس مقصودنا تحميل الكلام فوق معناه أو التكلف في إثبات الأثر اليهودي في الحالة الإيرانية، وإنما المراد نقل الصورة كما هي، مع إعطاء مساحات تفسيرية

وتحليلية لبعض المواقف والربط بينها وبين مواقف أخرى من شأنها أن توسع الرؤية لمشاهدة أوضح وأدق لواقع اليهود وفعل الصهيونية في الدولة الإيرانية وأثرها في مجريات الأمور هناك ومن ثم على الساحة الإسلامية بصفة عامة.

الفصل الأول

عن المكون اليهودي لإيران

قبل التطرق إلى مضامين المبحث، الوقوف على المعطيات المتعلقة والهوية الشاملة للإقليم السياسي الإيراني، كفيل بأن يضع القارئ على خط التبين والتعرف على منطق الإنتماء والتوازن الذي تخضع له إيران كوضعية جيوسياسية لها من العمق القيمي والتاريخي ما يحفظ لها مكانتها كوضعية جد معقدة وغامضة في الدراسات السياسية، الحضارية والجيوسياسية:

أولاً إيران. . . جغرافيا

إن كلمة إيران مأخوذة أو محرفة من كلمة (إيريان) والتي كانت تطلق على القبائل الرحل التي كانت تسكن بطاح آسيا الشمالية ثم نزحت مواشيها وأغنامها إلى الجهات الجنوبية الغربية طلبا للكلأ والعشب فاستقرت بتلك الأراضي وطاب لها العيش وقيل إن زرادشت هو أول من سمى سكان هذه الهضبة بالإيرانيين أي (النجباء) وذلك قبل (ميلاد المسيح) بعدة قرون).

1 - الموقع:

تقع إيران بين خطي عرض 25 و41 وبين خطي طول 42 و30 و63 وتبلغ مساحة إيران 1645000 كم مربع. أي أربع مرات ونصف بقدر مساحة العراق.

2 - الحدود:

يبلغ مجموع طول الحدود الإيرانية البرية حوالي 5000 كم فالحدود مع العراق يبلغ طولها 1094 كم، أما الحدود الإيرانية التركية يبلغ طولها 370 كم ومع روسيا 1620كم، ومع أفغانستان 860كم، ومع باكستان 810كم[1].



الشكل رقم واحد: خريطة جيوسياسية لجمهورية إيران[2]

(1) مزيد من التفاصيل عن الجغرافيا العامة لإيران انظر: أمال السبكي، **تاريخ إيران السياسي بين ثورتين 1906م ـ 1979م**، المجلس الوطني للثقافة والفنون، (الكويت ـ 1999م)، ص ص211-235.

(2) إدريس ماجد، **النظام الاقليمي للخليج العربي**، الطبعة الأولى، عمان: دار يافا للمنشورات المفيدة، 2006، ص ص455-456.

3 - السكان:

إن نفوس إيران تنتسب إلى أجناس متعددة ومتباينة، حيث يؤلف الفرس الحقيقيون 40% فقط، أما الباقون فينتسب أكثرهم إلى الترك الأذريين والعرب والبلوش والأكراد والأفغان.

فالأكراد يقطنون في المناطق الجبلية (زاغروس) أما الترك فيكثرون في أذربيجان والتركمان في شمال خراسان وهناك نسبة من المغول في خراسان ويعيش الأرمن في أذربيجان، وهناك نسبة من اليهود ينحصرون في معظم المدن الكبرى ويسكن العرب الأهواز والساحل على امتداده. والبلوش يكثرون في المناطق المحاذية لباكستان. يروي المؤرخون أن الحضارة الإيرانية القديمة لها الدور في تمدين الجنس البشري، حيث استطاعت الحفريات القديمة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين أن تؤيده بينما اتجهت أنظار المستشرقين إلى البحث في تراث الشرق، وتوالت بعثاتهم الأثرية في حل رموز الكتابة المسمارية الفارسية سنة 1847م. والتي كانت موجودة في قرب كرمنشاه في سنة 837ق.م منذ عصر مدين، والميديون كانت أسرة تحكم شمال إيران وغربها منذ القرن التاسع ق.م. وهي التي استخلصت البلاد من حكم الآشوريون وأقامت لإيران حضارة واسعة والتي كانت تعرف بالدولة الهخماشية.

والدولة الهخماشية هي أول دولة تاريخية وردت في مراجع الفرس مثل اليونان والرومان والتي كانت في سنة 330ق.م.

ثانياً: إيران. . . الاقتصاد

إن لإيران موارد كثيرة وضخمة جدا مما جعلها تتمتع بقوة اقتصادية هائلة، فمن هذه الموارد:

1 - التربة والمعادن:

إن تربة إيران وجبالها غنية بأنواع المعادن والأحجار الكريمة، وأخذت الحكومة الإيرانية تعمل على استغلال هذه الثروات واستخراجها مثل:

الذهب والنحاس، والرصاص، والحديد. كما هناك كميات من اليورانيوم في أتارك ورباط كريم قرب طهران.

2 - البترول:

يعتبر البترول من أهم المعادن بالنسبة لإيران، فخبراء البترول يذكرون أن إيران أشبه بجزيرة كبيرة عائمة فوق بحيرة عظيمة من البترول، وقد ظهرت أهمية البترول في القرن الماضي، وقد زادت حصة الحكومة الإيرانية من عوائده. وبعد تأميم النفط عام 1949 سيطرت الحكومة الإيرانية على عوائد الثروة الضخمة وبدأت توجهها الوجهة النافعة للإقتصاد القومي، فتعاقدت مع عدة شركات أمريكية وإنجليزية وفرنسية وهولندية تعمل كلها متحدة في استخراج البترول وتصديره إلى الأسواق العالمية تحت إشراف الحكومة الإيرانية. وفي سنة 1958، بلغ مقدار ما صدرته إيران من البترول إلى الأسواق العالمية 42 مليون طن. وبعد التزايد الحاصل في أسعار النفط في السنوات الأخيرة مكن إيران من الإحتفاظ بخمسة وستين بليون دولار كاحتياطي من النقد الأجنبي، وفي سنة 2006 بلغ مجموع الإنتاج الإيراني 4،15 مليون برميل يوميا كما صرحت بذلك إيران والاستهلاك 1،63 مليون برميل يوميا. واردات النفط: 153،600 برميل يوميا طبقا لتصريحات الإيرانيين. أما الإحتياطي: 132،5 بليون برميل[3].

3 - الغاز الطبيعي:

تعتبر إيران من أغنى دول العالم بالغاز الطبيعي، إذ يبلغ الإحتياطي المؤكد (26،37) تريليون متر مكعب طبقا لتقديرات 2006. أما الصادرات فقد بلغت 4،33 بليون متر مكعب. ووفرة الغاز الطبيعي لدى إيران عزز إنتاج الطاقة الكهربائية بشكل كبير جدا عن طريق المحطات الغازية الضخمة، فضلا عن تصديره، وقد اكتشفت شركات التنقيب مؤخرا عن

(3) وزارة الثقافة والإعلام، فصول من النزاع العراقي الإيراني، ط 2، بغداد: دار الطليعة للكتاب العربي، 1983، ص18

احتياطي ضخم لآبار جديدة من الغاز الطبيعي في سواحل إيران لبحر قزوين.

بعد وصول (رضا شاه الكبير) - مؤسس الأسرة البهلوية - كانت إيران تعاني أزمة اقتصادية وسياسية نتيجة تدخل أجنبي وتغلغله في شؤونها الداخلية والخارجية على السواء. كما كانت الحالة الإجتماعية فيها مضطربة غاية الإضطراب بسبب الفتن والقلاقل التي يثيرها هذا التدخل ويذكي نارها لمصالحه الخاصة(4).

وقد كانت الإمتيازات الأجنبية من المنافذ الواسعة التي تتيح للأجانب فرصة التدخل في شؤون البلاد والسيطرة على اقتصادياتها، وهي في الوقت نفسه تعتبر انتقاصا لسيادة الدولة. فإنه لم يتردد في إلغائها بجرة قلم. ولم يكن بد من العمل على حماية استقلال البلاد الإيرانية، وصيانة سيادتها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالقوة، فقد سعى زعيم إيران آنذاك إلى تزويد الجيش بالأسلحة الحديثة.

فكان من أسباب الأزمة الاقتصادية، هو نقص العملة الصعبة فأقام بعد ذلك علاقات دبلوماسية مع ألمانيا وروسيا وغيرهما وكان مبدأ المقايضة مبرما معهم فألغى نظام الإقطاع. وقام بمد شبكة لسكك الحديد عبر أراضي إيران الواسعة الكثيرة المرتفعات يعد ضربا من الوهم والخيال، وأقام الجسور وأنشأ الطرق والإصلاح الزراعي. وأخذ الشعب ينعم بهذه النهضة، وتيار الإصلاح المتلاحق يأخذ مجراه، وبعد الحرب العالمية الثانية، لم تلبث ألمانيا أن أعلنت الحرب على روسيا سنة 1941م، فتحالفت روسيا مع بريطانيا، ونظرا لأهمية إيران من الناحية الإستراتيجية كمعبر تمويني، تآمرت هاتان الدولتان (روسيا وإنجلترا) على استقلال إيران، فدخلت روسيا في إيران من الشمال وانجلترا دخلت من الجنوب بعد مقاومة بسيطة من الجيش الإيراني(5).

---

(4) عبدالمنعم سعيد، الجغرافيا السياسية للعالم العربي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2003، ص86.

(5) كاظم يوسف، تاريخ الأطماع الغربية في إيران، صحيفة النهار، البيروتية، في 17 / 9 / 1979م، عدد1023، ص16.

وإزاء هذه الظروف تنازل الإمبراطور الراحل عن العرش لولي العهد محمد رضا شاه لإبقاء الكيان الإيراني في السلطة. وبعد تولي محمد رضا شاه أمور الدولة كانت ظروف إيران حرجة جدا إبان الحرب العالمية الثانية على نحو ما قدم. وبعد نهاية الحرب أخذت إيران تعمل من جديد سعيا للتقدم والإصلاح في ميادين التجارة والزراعة والصناعة والثقافة.

4 - الصادرات:

أهم الصادرات الإيرانية هي النفط، إذ يبلغ 80% منها، أما الصادرات الباقية، فهي المنتوجات البتروكمياوية، والفواكه والمكسرات والسجاد اليدوي.

وتعتبر أهم الدول المستوردة للصادرات الإيرانية والمنتوجات منها:

1 - اليابان 14%

2 - الصين 8، 12%

3 - تركيا 2، 7%

4 - إيطاليا 2، 6%

5 - كوريا الجنوبية 6%

6 - هولندا 6، 4%

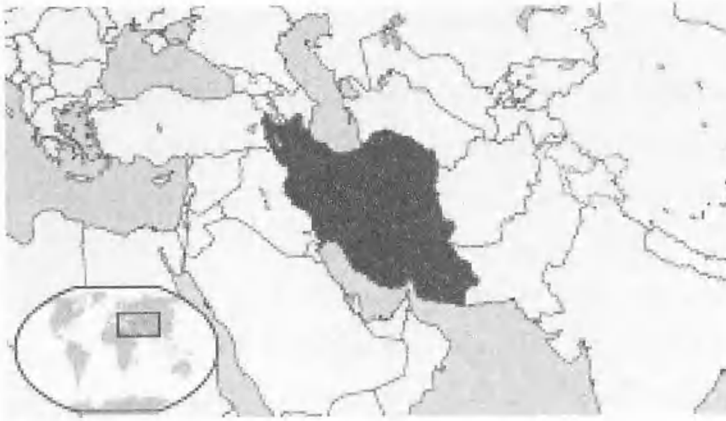
وتبلغ الواردات الإيرانية 3، 61 بليون دولار، والإحتياطي من العملة الصعبة والذهب 2، 69 بليون دولار طبقا لتقديرات 2007. أما الديون الخارجية 8، 13 بليون دولار، والإستثمارات الأجنبية في الداخل بلغت قيمتها 345، 4 بليون دولار[6].

---

(6) أبو الفتوح سكندراني، مدخل إلى الجغرافيا الإقتصادية، الطبعة الأولى، الدوحة: دار المقروئية ناشرون، 2007، ص107.

ثالثاً: إيران... الإسلام

إيران - فارس - فيما مضى كانت دولة مسلمة، عرفت الإسلام منذ شروق شمسه على شبه الجزيرة العربية حين أرسل محمد بن عبد الله رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم رسالة إلى كسرى فارس يدعوه فيها إلى الدخول في الإسلام، دين الله الحق، الذي رضيه لعباده أجمعين، لكن ملك فارس أبى واستكبر. غير أن أشعة شمس الإسلام بدأت تتجه إلى إيران بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد بدأ الفتح الإسلامي لهذه البلاد عام 13هجرية في أواخر عهد خليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحقق المسلمون نصرا كبيرا في موقعة نهاوند في عام 21هجرية، فسميت هذه الموقعة "فتح الفتوح"، لأن دولة الساسانيين لم تقم لها قائمة بعدها، فاستكمل المسلمون فتح سائر أرداء إيران في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقبل يزردجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين في عام 31هجرية، فطويت صفحة الساسانيين وأصبحت إيران من ديار المسلمين. وعاشت إيران في ظل الإسلام منذ شروق شمس الإسلام على جنباتها في عام 21هجرية، إلى عام 907هجرية، وهي سنية المذهب في عصور الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسين وظلت سنية المذهب بعد سقوط الخلافة العباسية إلى أن قامت للصفويين دولة فيها في عام 906 هجرية، ثم أعلن الصفويين فى عام 957 هجرية المذهب الشيعي الإمامي مذهبا رسميا لدولتهم، فأخذت إيران منذ ذلك التاريخ تصطبغ بالصبغة الشيعية، ولا تزال الصبغة الشيعية غالبة عليها إلى يومنا هذا.



الشكل الثاني: خريطة تظهر عمقا إيرانيا في قلب العالم الإسلامي(7)

المبحث الأول
السبئية والنقاط الرخوة في المجتمع الفارسي

هنا تحضرنا ملحوظة هامة قبل الولوج إلى مضامين هذا المبحث: إن البحث العلمي إن أريد له أن يكون راسخاً ثابتاً فإنه لابد أن يكون متصفاً بصفة الموضوعية والتجرد عن النوايا المسبقة، وإلا فإنه لا حجة لمبطل، ومن تكلف ومزايدة أمر ما وقلب فيه للحقائق فإنه لا يلبث أن ينكشف تكلفه ومزايدته مع مرور الوقت.

وقد كان يطرق أسماعنا كثير من الأقوال نسمعها من أفواه عدة أطراف، ولكن النظر المنصف يضطرنا أن نبقي غير متحيزين لطرف حتى يستبين وجه الحق فيما نسمع، ومن ذلك ما كنا نسمع عن إيران وقيمها التاريخية والمذهبية (كدولة رافضية) (التي تشكل ثابتا من ثوابت كيان الدولة الإيرانية) من أن أصل مذهبهم يرجع إلى فتنة أججها يهودي إسمه (عبد الله بن سبأ) زمان الإمام علي - رضي الله عنه- ويبدو أنه قد أقض مضجعهم

---

(7) عبيد ناصر الفهد، **جيوبوليتيكا العالم الإسلامي**، الطبعة الثانية، الرياض: دار العبيكان، 2004، ص107.

هذا القول فانبرى منهم من يتصدى له - بزعمه - وصب خلاصة أفكاره في كتاب أسماه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى). وقد ألبس كتابه هذا صفة البحث الحديثي، حيث بناه على تتبع الروايات التي ورد فيها ذكر (عبد الله بن سبأ) عند أهل السنة[8] (وقد استعمل أسلوباً ما في تضخيم إيراد الروايات ينطلي على بسطاء الناس ولكن يتلمس منه العارفون بأصول البحث الحديثي تدليساً يضفي صفة الشمولية والإستقصاء على البحث).

أما حقيقته فليست كذلك، كأن يورد روايات (عبد الله بن سبأ) في كتب المتأخرين العديدة وهي إنما استقت هذه الروايات من أصول قديمة محدودة يجزيء ذكرها عن ذكر نقول المتأخرين. والخلاصة التي خرج بها في كتابه هذا إن مدار تلك الروايات على رجل مجروح ولذا فهي ساقطة، فشخصية هذا الرجل وهمية إذن وهو أسطورة من أساطير أهل السنة.

وبعد فترة ظهر أن ذكر هذه الشخصية موجود في كتب الشيعة أنفسهم، فمن تتبع كتب رجالهم وجد ذلك حقاً، فقد أوردها كبار علمائهم في الرجال ولم يردّوها، فعلم عندها إن مؤلف ذلك الكتاب قد لبس علينا وذلك بتغافله عن تلك الروايات وعدم إيرادها أو حتى الإشارة إليها، فنقول ربما تكون تلك الروايات ضعيفة لا تنهض دليل على الأمر، فإلزام النفس بتتبعها وتتبع أحوال رجالها من كتبهم يودي بنا إلى الحكم بصحة النقل فيها لا شائبة عليها حسب أقوالهم من أفواههم، وها نحن نسوقها بنصوصها كما وردت في كثير من كتب علمائهم (راجع مثلاً: إختيار الرجال للطوسي، وتنقيح المقام للمامقاني، ومجمع الرجال للقهبائي وكلها استقت معلوماتها حول (عبد الله بن سبأ) من (رجال الكشي). ليعرف القارئ حقيقة الأمر حسب نقول رواياتهم هؤلاء أنفسهم.

روى الكشي في رجاله (كما نقل عنه الطوسي في اختيار الرجال والمامقاني في تنقيح المقال والقهبائي في مجمع الرجال وغيرهم - يمكن

---

(8) عبد الوهاب المرتضى، السبئية .. أصول منهجية لدولة الرافضة، صحيفة القبس الكويتية، العدد 156، في 3 / 1 / 1981م، ص11.

الوصول إلى الترجمة بتتبع أسماء الرجال حسب الفهرست الهجائي لأن الطبعات قد تختلف في أرقام صفحاتها..):[9]

* حدثني محمد بن قولويه القمي قال حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي قال حدثني محمد بن عثمان العبدي عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان قال حدثني أبي عن أبي جعفر عليهما السلام إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم إن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الله تعالى عن ذلك فبلغ ذلك أمير المؤمنين - عليه السلام - فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم هو وقد كان ألقي في روعي إنك أنت الله وإني نبي، فقال له أمير المؤمنين:

«ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فاحرقه بالنار» وقال: «إن الشيطان استهواه وكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك».

* حدثني محمد بن قولويه القمي قال حدثني سعد بن أبي خلف القمي قال حدثني محمد بن عثمان العبدي عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان قال حدثني أبي عن أبي جعفر عليهما السلام إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الله تعالى عن ذلك فبلغ ذلك أمير المؤمنين - عليه السلام - فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو وقد كان ألقي في روعي إنك أنت الله وأني نبي، فقال له أمير المؤمنين: «ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار وقال: «إن الشيطان استهواه وكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك».

* حدثني محمد بن قولويه قال حدثني سعد بن عبد الله قال حدثني يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبد الله - عليه السلام - يقول وهو يحدث أصحابه بحديث

---

(9) المرتضى الماطبطائي، عبد الله بن سبأ في حضرة العلماء، سامراء: دار نافع للنشر والتوزيع، 2002 م، ص123.

(عبد الله بن سبأ) وما ادعى من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - فقال: «إنه لما ادعى ذلك فيه استتابه أمير المؤمنين - عليه السلام - فأبى أن يتوب فأحرقه بالنار».

* حدثني محمد بن قولويه حدثني سعد بن عبد الله قال حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى عن علي بن مهزيار عن فضالة بن أيوب الأزدي عن أبان بن عثمان قال سمعت أبا عبد الله - عليه السلام- يقول «لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين - عليه السلام - وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً، الويل لمن كذب علينا وإن قوماً يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم»[10].

* وبهذا الإسناد عن (يعقوب بن يزيد عن إبن أبي عمير) و(أحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه والحسين بن سعيد عن إبن أبي عمير) عن هشام بن سالم عن أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام «لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت (عبد الله بن سبأ) فقامت كل شعرة في جسدي ولقد إدعى أمراً عظيماً، ماله لعنه الله. كان علي - عليه السلام - والله عبداً لله صالحاً - أخو رسول الله(ص) وما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله وما نال رسول الله(ص) الكرامة من الله إلا بطاعته لله».

* وبهذا الإسناد عن محمد بن خالد الطيالسي عن إبن أبي نجران عن عبد الله قال أبو عبد الله(ع) «إنا أهل بيت صديقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أصدق الناس لهجة وأصدق البرية كلها وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين- عليه السلام- أصدق من برأ الله بعد رسول الله وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على الله الكذب (عبد الله بن سبأ)[11].

* الكشي: (وذكر بعض أهل العلم إن عبد الله بن سبأ كان يهودياً

---

(10) نفس المرجع، ص111.
(11) نفس المرجع، ص188.

فأسلم ووالى علياً(ع) وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى (على نبينا وعليهما السلام) بالغلو فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله(ص) في علي(ع) مثل ذلك، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي(ع) وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم، فمن ههنا قال من خالف الشيعة أن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية). إنتهى ما أورده الكشي بنصه[12].

وبناء على ماسبق يمكن القول: أن القوى التي استهدفت الإسلام على اختلاف مقاصدها وغاياتها كثيرة ومتعددة. منها : اليهود الذين أحسوا بأن الإسلام حين يشمل برسالته العالمية أهل الأرض جميعاً قد يهدد ما لهم من مصالح إجتماعية ومادية، فواجهوه في بادئ الأمر صراحة على خلاف عاداتهم، سواء كانت هذه المواجهة مواجهة ساخنة بالسلاح أو مواجهة فكرية، ظانين أنهم بهذه المواجهة قد يضعون النبي في حرج أمام أمته. ولكنهم قد فشلوا في هذه الميادين التي تقوم على أساس المواجهة الظاهرة، فرأوا أن يعودوا إلى طرائقهم الأولى من اصطناع أسلوب التآمر الخفي، وبدأ إبن السوداء (عبد الله بن سبأ) بعد أن أعلن إسلامه في الظاهر يؤسس منظمة سرية في مبادئها نسبت إليه وسميت بالسبئية.

وكان عبد الله بن سبأ هذا هو أول من وضع في الإسلام مبدأ الرجعة ومبدأ توقع خروج المهدي المنتظر، وقد نقل هذه الأفكار وغيرها من الفكر اليهودي الذي كانت له تجاربه في التخريب على مدى أزمنة وعصور طويلة. غير أن أخطر ما قال به عبد الله بن سبأ: هو أن القرآن له باطن وظاهر، وأن الظاهر غير مراد، والباطن لا يفهمه إلا الأئمة، وليس من الضروري أن يكون هذا الباطن منسجماً مع العقل أو متماشياً مع المنطق.

وهذا المبدأ بالذات كان القصد منه وضع خط فاصل بين ألفاظ القرآن ومصطلحات الشرع من جهة، والمضامين والمعاني التي تنصرف إليها هذه الألفاظ وتحتويها هذا المصطلحات.

---

(12) نفس المرجع، ص247.

وكان المخطط الذكي في مجال التخريب، وضرب الوحدة الإجتماعية في المجتمع المسلم يرى أن أهم وسيلة من وسائل الوحدة الإجتماعية هي : الإرتباط الوثيق، والرابطة القوية التي تكون بين الألفاظ والمعاني، ولو أمن حل هذه الرابطة لأمكن إدخال الكثير من الأفكار المتناقضة والمفاهيم المتضادة والمحتويات المتضاربة بحيث يمكن لكل فرقة من المسلمين أن تتعلق بمضمون من هذه المضامين ويقع بينهم الخلاف فيضعف بعضهم بعضاً. وانتشر بين المخططين مبدأ يقول : إن الشجرة ينبغي أن يقطعها أصحابها.

وحاول زعماء اليهود ومفكروهم أن يبحثوا جادين عن نقطة ضعف في المجتمع المسلم يمكن لها أن تقبل بمثل هذه الأفكار وتدين بها بغير مناقشة عقلية أو اصطناع للمنطق أو استخدام للفكر. وكان أضعف المناطق في المجتمع المسلم منذ أول أمره هو المجتمع الفارسي، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل من أهمها :

أن الدهماء من الناس والعامة من الشعب كانوا يؤمنون بفكرة تقديس الحاكم قبل الإسلام، وفطرتهم قد دربت على استمراء هذا المبدأ واستحسانه منذ آماد ضاربة في أعماق التاريخ، وحين دخلوا الإسلام لم تتغير فطرتهم كثيراً فهي مازالت مستعدة لتقدير الحاكم والزعماء. ومن أجل ذلك فإنه لا يستعصي على اليهود أن يرافعوا تحت ستار محبة أهل البيت والتشيع لهم المبدأين الخطيرين : إنتظار المهدي، وتفسير النصوص الدينية (الشريعة) تفسيراً باطنياً.

أما أهل الرأي والفكر من سكان هذه البلاد، فإنه كان دوما من الممكن لدى اليهود أن يعلقوا في صدور البعض منهم نار الحماسة للقومية، والتعصب للمجد الوطني القديم، ومحاربة هؤلاء العرب الذين كسروا تاج كسرى، وانتزاع مقاليد الحكم من أيديهم. على أن هؤلاء الزعماء إذا قاموا بثورات وأزمات وفتن واضطرابات فإنه من الجائز لهم أن يستغلوا فطرة الشعب، واستعداده لتقديس القادة والزعماء : فمنهم من ادعى أنه المهدي المنتظر، ومنهم من ادعى بأنه نبي جديد، وآخر بأن الألوهية قد حلت فيه

فهو إله بواسطة نظرية الحلول، والشعب الإيراني (ذي الأغلبية الشيعية) يصدق الأمر لأنه قد آمن بأن للقرآن والسنة ظاهر غير مقصود، وباطن لا يدركه إلا العطرة من أهل البيت، والأئمة الذين ورثوا العلم.

واستمر اليهود يعملون عملهم بطريقة سرية خفية منذ أول الأمر وإلى اليوم، فكانوا على العموم هم المسئولون عن كل ازمة وفتنة أطلت برأسها، وعن معظم الإضطرابات التي أفضت مضجع الآمنين من أبناء المجتمع الإيراني والحاكمين.

ظف إلى ذلك، عمل الخط الإستعماري الذي لا يستهدف الإسلام غاية، وإنما يستهدفه وسيلة لإضعاف روح المقاومة: إذ استطاع أن يحدث بين أفراد هذا المجتمع فرقة دينية واختلاف عقائدي أو تشريعي، أما الهدف النهائي فهو السيطرة على الأرض واستثمار جهود الشعب واغتصاب ثرواته.

وتختلف طبيعة كل مستعمر وأسلوبه في التعامل باختلاف الشعوب والأهداف، فيمكن لنا أن نرى في الهند - مثلاً - الأسلوب الذي إستحدثه المستعمر الإنجليزي في خلق نوع من الفرقة الدينية والقومية، ولم يكن هذا الأسلوب إلا نوعاً من استهداف الدين كوسيلة للإحتفاظ بالأرض والثروة وجهود البشر.

وفي إيران يختلف الأسلوب باختلاف طبيعة الشعب والهدف غير الهدف في الجزئيات والتفاصيل، غير أنه هو في الغايات والنهايات: فالمستعمر الطامع في إيران بالدرجة الأولى هو روسيا القيصرية قديماً(الفدرالية الروسية حديثاً). إن المتأمل في طبيعة الأرض التي يسكنها الروس يجد أنها تقع في الجزء الشمالي لقارة آسيا وجزء من شمال شرق قارة أوربا.

وهذه الطبيعة الجغرافية تقطع صلتها بالمياه الدافئة فهي إن أرادت الخروج للمياه الدافئة ليس لها سوى مضيق البسفور والدردنيل إلى البحر الأبيض المتوسط. ولكنها حين تريد الخروج إلى المحيط الهندي سوف يعترضها الهند وباكستان وإيران، وعليها إن أرادت الخروج في سهولة أن تستولي على أحد هذه المناطق.

وفي عهد روسيا القيصرية كانت شبه القارة الهندية تحت السيطرة الإنجليزية، وكان من الصعب عليها أن تقع مع إنجلترا في منافسة من هذا النوع، فلم يكن أمامها إلا الأراضي الإيرانية لكي تستولي عليها، ولذا وجدت في القديم قد نشرت مجموعة من الجواسيس والعملاء بقصد اختيار طريقة مناسبة لإضعاف صفوف المجتمع الإيراني، وفي نفس الوقت البحث عن طريقة مناسبة لكي تخلق مجموعة من أبناء هذا الشعب يؤيدونها ويتحمسون لها. ومن هذا المنطلق قد وجدت بعض العملاء الروس قد وقف بكل جهده وراء من ادعى النبوة في إيران يوفر لهم المال إن احتاجوا إليه، ويحميهم من السلطة والسلطان إن وقعوا في أسرها، ولم يعد خافياً اليوم أن الروس كانوا من بين العناصر التي شجعت ودعمت الحركتين البابية والبهائية اللتين هما موضع ارتكاز الأبعاد القيمية لإيران اليوم في دراستنا هذه[13].

ولم يكن لروسيا القيصرية أهداف تتصل بالجوانب المذهبية أو الفكرية، وإنما قصارى ما كانت تهدف إليه هو الوصول إلى المياه الدافئة فحسب.

ولما تحولت روسيا إلى مركز للشيوعية بعد ثورة أكتوبر سنة 1917، أصبحت تنافس الرأسمالية العالمية وتدخل معها في صراع أيديولوجي. فالإتحاد السوفيتي منذ هذا التاريخ أصبح له رسالة مذهبية، والرؤوس المفكرة في المذهب الشيوعي ترى أن من أعدى أعداء هذا المذهب العصبية للقومية أو الدين، أو الإنتماء إلى أي لون من ألوان الإنتماء الذي يحول دون تحقيق الشيوعية العالمية.

ومن هنا فإن الإتحاد السوفيتي عمل جاهداً على محاصرة كل عقبة كئود تحول بينه وبين هدفه، ومحاولة تحطيمها.

وعلى ذلك فإن الهدف القديم لروسيا القيصرية الذي يدفعها إلى الإستيلاء على إحدى الدول المطلة، أو الموصلة إلى المحيط الهندي، قد

(13) انظر: محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، الطبعة السادسة، الشارقة: دار الجيل الجديد يافع، 2003، ص92.

إنضم إليه هدف آخر بعد الثورة البلشفية، وهو الهدف المذهبي الذي يرمي إلى كسب ميدان جديد لصالح الشيوعية. ولهذا فإن الهدف قد بات هدفاً مزدوجاً دفع الروس نحو الإستيلاء على الأرض وعلى الرؤوس جميعاً.

والمتأمل في خريطة العالم سابقا (إبان الحرب الباردة) يجد أن الإتحاد السوفيتي قد استطاع أن يضم إليه أثيوبيا واليمن، وهما متقابلان يفصل بينهما (مضيق باب المندب)، وفي نفس الوقت قد ضم إلى حوزته دولاً كثيرة مطلة على البحر الأبيض، أهمها: ليبيا.

ولو تأملنا الوضع على ما كان عليه سابقا لوجدنا أن الاتحاد السوفيتي أراد أن يصل من أثيوبيا على البحر الأحمر إلى ليبيا على شاطئ المتوسط، ولكن يفصل بينهما السودان، ولم يجد الإتحاد السوفيتي آنذاك غضاضة في أن يوقع السودان بين شقي الرحى (ليبيا وأثيوبيا) بقصد إثارة القلاقل فيه حتى تؤدي هذه القلاقل في النهاية إلى سقوط السودان في حوزته.

ومن جانب آخر فإن الإتحاد السوفيتي حاول جاهداً إضعاف الشعب الإيراني -مطمعه القديم- بكل ما أوتي من أساليب الوقيعة والدس بينه وبين جيرانه، وإذا سقطت إيران في حوزته تم له إحكام حلقة كاملة داخل منطقة العالم الإسلامي، فإذا خرج الإتحاد السوفيتي ببعثة إلى إيران تستطيع هذه البعثة أن تنزل إلى الخليج ومنه إلى المحيط الهندي، ثم إلى البحر الأحمر ثم إلى أثيوبيا والسودان وليبيا التي تصل به إلى البحر الأبيض، ومن البحر الأبيض إلى مضيق البسفور والدردنيل إلى البحر الأسود إلى روسيا.

وهذا الحزام الجيوبوليتيكي الذي أراد الإتحاد السوفيتي تحقيقه يستطيع أن يعزل بموجبه مجموعة كبيرة من الدول والشعوب العربية والإسلامية عن باقي الشعوب الأخرى التي تدين بالإسلام أو تستظل بظل القومية العربية.

والفدرالية الروسية في جنرالاتها وحكامها القيصريين ساعون اليوم من أجل تحقيق هذا الهدف، وهي تتخذ القيم والدين كأسلوب من أهم الأساليب التي يشوش به على علاقة المسلمين والروابط الإجتماعية.

المبحث الثاني

أثر البابية والبهائية على صهينة القيم الإيرانية

إن المرء حين يستبطن حركة البابية والبهائية يجد نفسه أمام حقيقة تخالف كل ما كونه العامة عن هاتين الفرقتين : ذلك أن أتباع هذه الجماعات إنما يستعملون أساليب ومصطلحات ومبادئ الشيعة، وهم في نفس الوقت أبعد ما يكونون عن الشيعة من حيث الواقع العملي، ومن حيث انسجامهم مع المبادئ المعلنة لفرق الشيعة. وإن ما يمكن قوله هنا : أن كل ما يتوفر له تتبع تاريخ هذه الفرقة في إطار الحركة المعادية للإسلام، يجد أنها ليست سوى حلقة من حلقات سلسلة طويلة صممت بيد الخط الإستعماري.

غير أن معضلة الصلة بين هذه الفرقة والدوائر[14] الإستعمارية أو غيرها من أعداء الإسلام تحتاج إلى شيء من إعمال الفكر وجانب من التفكير غير يسير. والإنسان حين لا يجد الدليل المادي المحسوس، لا يكون قد فقد كل طريق وأغلقت أمامه كل سبيل إلى معرفة الحقيقة، ذلك أنه من بين السبل التي تستبين بها الحقائق تلك النتائج التي تترتب على كل

---

(14) [ولقد كشف كثير من الباحثين، ورؤساء الكنائس حقيقة البهائية وسيطرة النفوذ الأجنبي عليها، قال رئيس كنيسة (د.سيتي تمبل) إن البهائية في روحها مطابقة لجميع الخطابات الدينية التي تسمعون كل أسبوع، ولقد تصافح الليلة الشرق والغرب)، انظر: أنور الجندي، المؤامرة على الإسلام، القاهرة: دار الطليعة، 1998، ص215

وهناك جانب آخر من اتصالات الأجنبيين كاتصال الروس بالبهائية والبابية حتى في لحظة التأسيس الأولى، ذكر محمد حسين آل كاشف الغطاء عن كتاب معاصر لنشأة البابية - قال : (إن رجلاً من روسيا أتى طهران بعد أن انتزع الروس مملكة القوقاز من الدولة الإيرانية، وأراد إشغالها عن التفكير في استرجاع ما غصب منها فتعلم ذلك الرجل اللغة الفارسية وأتقنها، ثم أظهر التدين بالإسلام، وتزيا بزي أهل العلم بلحية كبيرة، وعمامة كبرى وعباءة وسبحة، ولازم صلاة الجماعة، ودرس شيئاً من المبادئ، واشتهر اسمه بالشيخ عيسى، ثم جال في عواصم إيران كأصفهان وشيراز فوجد فيها ضالته، فاجتمع بالباب وكان غلاماً جميلاً، ويتوسط خاله خلابة مرات عديدة، والظاهر أنه هو الذي كان حلقة وصل بين البابيين والحكومة القيصرية الروسية. انظر: د / محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، مرجع سابق، ص ص119- 120.

حركة قيمية، فكرية أو دينية، فإن هذه النتائج نفسها تبين عن حقيقة إنتماء هذه الفرقة أو تلك، ومصدر هذه الفكرة أو تلك.

فحين نرى جماعة يتحدثون باسم الإسلام، ويحاولون تحت ستار انتمائهم إليه أن ينالوا من بعض مبادئه الأساسية أو تشريعاته وعقائده التي وحدت بين أفراد وجماعات المنتسبين إليه، جماعة من أعداء الإسلام يشجعون هذه الفرقة التي وقفت من الإسلام وباسمه موقفاً عدائياً، ويقدمون لها كل معونة، ويرصدون لها كل عون، ويدفعون عنها كل من يحاول تحطيمها والقضاء عليها، لا يسعنا إلا أن نقول : إن هذه الفرقة إنما تعمل لحساب هذه الدائرة الإستعمارية أو تلك، وتسير وفقاً لما يرغبه أعداء الإسلام، أو بتخطيط منهم، فجمع بينهم الهدف، والتقوا على طريق واحد يدافع بعضهم عن بعض ويرعى كل منهم مصالح الآخر. وليس هذا هو الدليل الوحيد الذي يمكن اصطناعه في الكشف عن انتماء الحركة البابية والبهائية، وإنما هناك عدد من الأدلة المحسوسة التي تدل على هذا الإنتماء، الذي حول في مضامين الخط العقدي والقيمي لإيران:

وكان أول الطريق إلى البابية والبهائية لإيران الشيخ أحمد الإحسائي صاحب الطريقة الشيخية في المجتمع الشيعي. ومهما قيل أو يقال عن نسب الشيخ أحمد ووطنه، فإن المنطق المعقول يفرض علينا أن نلتقط الخيط من بدايته. وبداية الخيط هي محاولة أعداء الإسلام خلخلة المجتمع المسلم بقصد إضعاف قوته، وترك الساحة خالية، والتمكن من الأرض واستثمار جهود البشر، ولا مانع في بعض الأحيان من نشر المذهب الذي يؤمن به الطامعون في هذه الأرض وجهود البشر إن كان لهم مذهب.

ولا تتأتى زعزعة الصلات الإجتماعية إلا عن طريق خلخلة الروابط القيمية والدينية، ولكن ينبغي على من يقوم بهذه المهمة أن تكون له مكانة روحية، ومنزلة لها صلة وثيقة بالسماء. ذلك أن المنتسبين إلى الدين لا يقبلون بسهولة أن تتغير قضاياه في نفوسهم بمجرد ادعاء بشري أو نتاج عقل إنساني. إذاً لابد لكي يحصل المستعمر على ما يريد أن يجد إنساناً يدعي في إيران وما حولها أنه المهدي المنتظر ثم يترقى في دعواه إلى النبوة، ثم إلى ادعاء الألوهية.

غير أن نقطة البداية هنا - وهي ادعاء المهدوية - تشكل معضلة لا يمكن اجتيازها بسهولة، ذلك أن الشيعة الإمامية لديهم تصور كامل عن إمامهم الغائب، وفي كتبهم ورصيدهم الفكري الذي خلفه السلف لخلفه آيات وعلامات، ويجب على المستعمر أو العدو الذي يستهدف الإسلام حين يريد نصب من يدعي المهدوية أن يعثر على إنسان، تتوفر فيه هذه الصفات التي يعرفها الشيعة جميعها، وهذا أمر بالغ الصعوبة، بل إنه يصل إلى حد الاستحالة .إذاً لابد من البديل:

والبديل الذي يراه من يرون وجوب إخراج المهدي المنتظر هو تغيير فكر الشيعة حول حقيقة المهدي، إذ أنه يجب لكي يتحقق هذا الهدف أن تغير الشيعة فكرتهم عن المهدي المنتظر بحيث لا يكون هو الغائب في سراديب سامراء، وإنما يكون شخص عادي كما يتصوره الشيعة الزيدية وبعض أهل السنة. غير أن تغيير الأفكار على هذا النحو يحتاج إلى جيل يتربى تربية خاصة، وهذا الجيل لابد له من معلم يكون على صلة سرية بأعداء الإسلام الذين يخططون لفكرة المهدي.

. وإنه لمن غاية الصعوبة أن تجازف هذه الدوائر لأول مرة باختيار إنسان من هذه البلاد معروف النسب والهوية ليقوم بعملية تنشئة الجيل الإيراني المرتقب، إذ أن كشف حقيقة مثل هذا المعلم يعرض الخطة كلها للخطر. ولا مفر والحالة هذه من أن يذهب إنسان من خارج هذه البلاد يكون هاضماً لمهمته فيسكن الوطن المستهدف، وينتحل شخصية أحد أبنائه، ويدعي أن له صلة بالسماء، ثم يكون له مجموعة من الأتباع والرواد يساعدونه في تحقيق غاياته. وكان الشخص الذي وقع عليه الإختيار للقيام بهذه المهمة هو أحد القساوسة في أندونيسيا الذي كان يقوم بمهمة التبشير هناك، فقد جاء الرجل إلى العراق، وسمى نفسه بالشيخ أحمد الإحسائي، وكون لنفسه طريقة تسمى الشيخية مازالت موجودة حتى الآن، وكان هذا الرجل ذا عقلية فلسفية، وشخصية قادرة على التنكر، فاستطاع بعقله الفلسفي أن يمثل دوره.

وكانت المهمة الموكلة إلى الشيخ أحمد هي أنه لابد من تغيير الفكر الشيعي حول مبدأ الإمام المعصوم والمهدي المنتظر، ولو في نفسية عدد

محدود من الأتباع والرواد، المهم البداية. والشيخ أحمد لا يستطيع القيام بهذا الدور إلا إذا أثبت لأتباعه أنه شخصية ممتازة عما سبقه من الأنبياء والرسل، أو مساوي لهم على الأقل.

وإذا تمعناه وهو يشرح فكرة الحقيقة المحمدية شرحاً عقلياً ممزوجاً بالمغالطات والخلط والتدليس.

فهو يقول : إن الحقيقة المحمدية قد ظهرت في الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم ظهوراً ضعيفاً ثم ظهرت ظهوراً أقوى في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، والأئمة من أهل البيت، ولكن ظهورها الكامل قد تجلى في شخصه هو، ومن سيأتي بعده ممن سيخلفونه على دربه نحو الهدف.

ومعنى ذلك: أن الشيخ أحمد قد ادعى لنفسه مكانة ممتازة يستطيع من خلالها وبواسطتها أن يغير بعض المفاهيم الشيعية، وهذا ما كان وحدث بالفعل. غير أن الشيء الذي يلفت النظر هنا : هو أن الشيخ الإحسائي قد اعتمد على الرؤى والأحلام لكي يتحدث عن بعض الآراء والأفكار التي يؤمن بها وهو بذلك الأسلوب قد استطاع أن يلعب بعواطف الجماهير من حوله، والذين لم يقدر لهم أن يأخذوا قسطاً من العلم. والشيخ الإحسائي حين يقوم بمهمته على هذا النحو لا ينبغي أن يترك الساحة بموت أو ارتحال دون أن يضع يده على الشخصية التي تليه[15].

كاظم الرشتي :

والشخصية التالية هي شخصية كاظم الرشتي المولود في رشت من بلاد فارس سنة 1205هـ. ولما بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ارتحل إلى طهران لمقابلة أحمد الإحسائي هناك، وما أن التقى به حتى تعلق كل منهما بصاحبه، وارتحلا جميعاً إلى العراق، وهناك أصبح الرشتي من أخلص التلاميذ للشيخ أحمد، وفي خلال الفترة التي عاشها معه تعرف منه على الجزئية التي ينبغي عليه أن ينفذها من بعده ضمن إطار الخطة العامة.

---

(15) انظر : د محسن عبد الحمي، حقيقة البابية والبهائية، مرجع سابق، ص45.

وكان ما أوكل إلى كاظم الرشتي تنفيذه من الخطة هو أنه يجب أن يحافظ على هذا التراث والرصيد من الأتباع والأفكار اللذين ورثهما عن الشيخ الإحسائي، ولا يقف بالطبع عند هذا الحد ولكن لابد له ثانياً أن يبحث عن الشخصية التي ستتحمل التبعة من بعده، ويمهد الجو النفسي لتقبل الشيخية الجديدة ودورها، ويلهب في نفوس أتباعه نار الحماسة والشوق إلى رؤية هذا القادم الجديد. وإذا كانت مهمة الشيخ أحمد والشيخية قد أحيطت بمخاطر الميلاد الجديد في وسط غير ملائم فإن مهمة الرشتي والرشتية لا تقل أهمية لأنها سوف تمهد الجو لبداية التغيير الحقيقي، وهو أمر في غاية الخطورة.

وكاظم الرشتي قد أخلص في دعوته إخلاصاً لا يقل عن إخلاص هذا القسيس القادم من أندونيسيا بقصد الإضلال وتقطيع الروابط والصلات. وقد اصطنع كاظم الرشتي نفس الوسيلة التي اصطنعها أستاذه من قبله وهي الإعتماد على الأحلام والرؤى، وإن كان -كما نرى- أقل منه فهماً لقضايا الفلسفة والمنطق(16).

في ظهور البابية:

لقد رأى المخططون لحركة البابية كمرحلة هامة من المراحل التخريبية سبقتها مقدمات من الشيخية والرشتية، ويليها ما بعدها من مراحل الخطة أن الجو قد أصبح أكثر ملاءمة، لإمكان ظهور الباب:

ذلك أن الأحوال السياسية في إيران قد اضطربت إضطراباً شديداً، وصاحبها في الوقت نفسه إختلال في النظام المالي والإقتصادي وأصبحت إيران تحكم بواسطة حاكم مستبد أحياناً، أو حاكم ضعيف الشخصية لا يحسن التصرف في الأمور، فيضطرب الشعب بين ضعف هذا الحاكم واستبداد الآخر، بحيث يضيف ذلك عبئاً ثقيلاً يضاف إلى ما يعانونه من سوء الحالة الإقتصادية التي ترتب عليها إهمال شديد في العناية بالطرق

---

(16) هاني خلاف، أثر الفرق الهدامة على حاضر ومستقبل العالم الإسلامي، بيروت: دار القضايا، 1988، ص51.

والصحة والتعليم العام، وأساليب الغذاء والمعايش - إلى آخره.

ومع هذا الفساد السياسي والإقتصادي وما ترتب عليهما من فساد في الخدمات وما يتطلبه الإنسان في حياته المعيشية من مطالب ورغبات، فشى الجهل حتى أطبق على الشعب الإيراني وشمله بأثره، وخاصة الجانب القيمي والديني: حيث أصبح رجال الدين وعلماؤه الذين وكل إليهم حماية العقيدة والدفاع عنها، والسهر على الشريعة ومناقشة أعدائها، حيث أصبح هؤلاء جميعاً إلا القليل منهم مشغولين بالمادة وتحصيلها، وطامعين فيها طمعاً يشبه طمع رجال الدين المسيحي وحرصهم على الثروة والمراكز الإجتماعية.

ولقد أصبح علماء الدين الإسلامي في إيران مجردين من كل معرفة تتصل بجوهر الدين وحقيقته، وشغلوا أنفسهم بقراءات واطلاعات في كتب أقل ما توصف به أنها كتب دجل وخرافة. هذا كله، إضافة إلى الطابع العام الموروث وهو استعداد فطر الإيرانيين إلى تقبل فكرة المخلص، وما أشعله الشيخيون والرشتيون في نفوس العامة والخاصة الذين ينتسبون إلى هذه الطريقة من نار الشوق إلى رؤية المهدي الذي قرب زمانه لكي يخلص هؤلاء مما هم فيه من بلاء وعناء.

ويلخص أحد المهتمين بمبادئ البابية والبهائية هذه العوامل التي ساعدت على نشأة البابية في أول أمرها فيقول (أسلمنت): [إن لإيران التي هي موطن الظهور الجديد تاريخاً مجيداً في العالم... إلا أنها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر سقطت إلى وهدة مزرية، وكأنما ضاع مجدها القديم إلى الأبد فأصبحت حكومتها مختلة، وأحوالها المالية في حالة من الضيق يرثى لها، وكان البعض من حكامها ضعفاء، والبعض الآخر مستبدين طاغين كالوحوش، وأصبح علماؤها متعصبين غير متسامحين وعامة أهلها جهلاء مخرفين، وأغلبهم يتبع مذهب الشيعة ... فأصبحت الأمور الدينية والأمور المدنية في حالة تدهور، لا أمل في علاجها وأهمل أمر التعليم وأصبحت العلوم والفنون الغربية في نظرهم رجساً ومخالفة للدين ... وأصبحت الطرق رديئة غير مأمونة للأسفار، والإستعدادات الطبية ناقصة

نقصاً معيباً ... ومن بين تلك الحالة المادية الدنيوية ... ظهرت بعض طقوس مقدسة أحيت في كثير من القلوب شوقاً وجذباً إليها... ولذلك أصبح الكثيرون ينتظرون ظهور الرسول الإلهي الموعود، موقنين بأن وقت مجيئه قد حان وهذا خلاصة ما كانت عليه بلاد إيران عندما ظهر الباب][17].

وحين تكون الظروف مهيأة إلى هذا الحد لاستقبال تلك الضربة الجديدة، فإنه لم يعد أمام القابعين خلف هذه المؤامرة إلا اختيار الأرض التي تبدأ الدعوة منها، وتصور كيفية حراسة الدعوة إذا هي تعرضت إلى أزمة مع الساسة والقادة الذين يخشون على مراكزهم من مثل هذه الحركات الشعبية.

وفيما يتعلق بالأرض لم تكن هناك أفضل من منطقة خراسان (إيران) :

أولاً: لأنها هي أكثر المناطق استعداداً لقبول فكرة المهدي، وأهلها أكثر الشعوب قابلية وسرعة تأثر بهذه الفكرة. فلقد كان لهم تاريخ قديم، فدعوة أبي مسلم الخراساني، والمقنع، وبابك الخرمي وغيرهم قد ظهروا من هذه المنطقة.

وثانياً : أن هناك حديثا موضوعا يدخل في تصورات الشيعة عن المهدي المنتظر يؤكد أن خروج المهدي سيكون من خراسان تحت الرايات السود [18].

ولهذين العاملين رأى من هم وراء هذه الخطة أن تبتدئ المرحلة القادمة بداية من ظهورها من خراسان. أما حين يتعرض صاحب هذه الدعوة الجديدة إلى أزمة مع الساسة فإن ذلك لابد أن يحسب له في الخطة ألف حساب.

إن المسئول عنه وعن أتباعه في هذه الفترة هو الإستعمار الروسي بالدرجة الأولى بثقل القوة، واليهود بحسن الحيلة والتدبير، والصليبية أو

---

(17) الستار الرملي، بهاء الله والعصر الجديد، بغداد: دار الأنوار للصحافة والنشر، 1979، ص21

(18) محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، مرجع سابق، ص73.

المسيحية متمثلة في أكبر زعمائها الدينيين. ولقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير طرفاً من مذكرات أحد الجواسيس الروس في روسيا القيصرية الذين قاموا بخدمة الحركة البابية يصلح أن يكون شاهداً من عشرات الشواهد في تصوير الموقف كله قال [ويذكر الجاسوس الروسي " كيناز دالفوركي " في مذكراته : إن البابيين لما أطلقوا الرصاص على ناصر الدين شاه - ملك إيران آنذاك - قبض عليهم أو من بينهم المرزة حسين علي البهاء والبعض الآخرين الذين كانوا لي أصحاب السر، فأنا حاميت عنهم وبألف مشقة أثبت أنهم ليسوا بمجرمين، وشهد عمال السفارة وموظفوها ... فنجيناهم من الموت وسيرناهم إلى بغداد] [19].

ولم يقتنع الروس بفكرة التجسس التي تعني في قصارها جمع المعلومات وتقديم الخدمات السرية وتزييف الحقائق إن أمكن، بل إن الروس قد دفعوا المسألة خطوة إلى الأمام، فمنحوا البابيين منطقة روسية يقيمون ويتدربون فيها على أفضل وأحدث أنواع السلاح في ذلك العصر، فكانت بلدة "عشق آباد " معقلاً هاماً متاخماً للحدود الإيرانية ينشر البابيون منه تعاليمهم، ويدربون أتباعهم على وسائل التدمير والخراب، ثم منحوا بالإضافة إلى هذه المنطقة بلدة أخرى هي " باكو " لتكون معقلاً آخر يؤدي نفس الغرض ويقوم بنفس الوظيفة.

ومن حق المتتبع للأمر أن يتساءل: من أين لهؤلاء البسطاء من الشعب الإيراني الذين وقفوا ضد الحكومة الإيرانية بالأسلحة المتنوعة الثقيلة والخفيفة؟ من أين لهؤلاء بهذا العتاد المادي، ومن أين لهم بالمال الغزير الذي يدبرون به شئونهم وحياتهم ؟!.

يذكر الكثير من الكتاب البهائيين أنفسهم أن هذه المعونة الحربية والمالية كانت تأتيهم كلها من خارج البلاد خاصة ما كانت تمنحهم إياه روسيا القيصرية المهتمة بهم اهتماماً شديداً [20].

---

(19) أناتوني ديلفرسكي، مذكرات دالفوركي، ترجمة: محمد سيد أحمد، بيروت: دار إبن خلدون، 1995، ص82.

(20) إحسان إلهي ظهير، البابية عرض ونقد، إسلام آباد: دار نهاوند، 1981م، ص96.

كما أن المهتم للأمر من حقه كذلك أن يتساءل عن هذا الإهتمام الشديد الذي يصل أحياناً إلى حد التدخل في شئون إيران الداخلية خاصة من سفراء روسيا وروما. وليس لهذه التساؤلات وأمثالها من جواب: إلا أن الروس يريدون أن يحققوا أهدافهم في إيران من أقصر الطرق وبأيسر الأساليب.

أما اليهودية العالمية، فقد كان لها في التخطيط دور آخر متميز يتناسب تناسباً شديداً مع موقفهم من الإسلام، إنهم يريدون هدمه والقضاء عليه والنيل من أصحابه ومبادئه حسب تعاليمهم وتلمودهم. وقد انضم إلى الهدف العام واليهودية العالمية هدف آخر إستقروا عليه أخيراً وهو إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف فإننا نرى اليهود يخططون لكل محاولة هدامة، يرون أن لها تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على مبادئ الدين الإسلامي وعلى من يدينون به. وفيما يتعلق بالبابية رأت اليهودية العالمية أن تعمل على خدمتها واستغلالها منطلقة من أسس ثلاثة :

الأول : أن تدعوا اليهود في إيران للدخول بشكل جماعي في تبعية البابية والبهائية : وقد استجاب يهود إيران لمشهورة الماسونية اليهودية، فدخل في هذه النحلة الجديدة مجموعة كبيرة من اليهود الإيرانيين، [ففي طهران دخل فيها منهم (150) يهودياً وفي همدان (100) يهودي، وفي كاشان (50) يهودياً وفي كلبا كيان (85) يهودياً. ولقد دخل حبران من أحبار اليهود إلى البابية في همدان وهو الحبر الياهو والحبر لازار] [21].

ودخول اليهود بهذا الشكل في نحلة غير يهودية أمر يخالف طبيعة اليهود التي عرفت عنهم على طول التاريخ وعرضه، إنهم لا يتركون دينهم إلى دين آخر إلا في حالات فردية نادرة وشاذة، ذلك أنهم يخضعون خضوعاً تاماً إلى مقولة أنهم شعب الله المختار، وأن ما عداهم من الأمميين إنما خلقوا ليكونوا لهم تبعاً وخدماً، وأنهم يعتقدون أنه لا يصح أن يخرج واحد

(21) محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، ص127.

منهم عن هذه الطبقة الممتازة إلى طبقة أخرى أدنى منها أو أقل. وعلى هذا الأساس فإن دخول اليهود بشكل يشمل العالم وغير العالم في هذه النحلة الجديدة ليس له إلا تفسير واحد، وهو أنهم يريدون أن يحققوا أهدافهم تحت ستار كثيف من التمويه ثم يوجهون بشكل سري بعض من ينتسبون إلى الإسلام توجيهاً يؤدي بهم إلى النيل من الإسلام وأهله.

الثاني : أن اليهود قد تكفلوا من خلال المؤسسة العالمية التي تضمهم وهي مؤسسة الماسونية اليهودية، أن يضعوا للبابية كل هدف مموه وكل أمل براق، وكل خطة تؤدي إلى هذا الهدف وتقضي إلى ذلك الأمل. إنهم قد استخدموا زعماء البابية والبهائية في إعلان أهداف الماسونية التي تنادي بوحدة الأديان، وتتستر خلف محبة الإنسانية، وتدعي أنها تعمل من أجل نبذ الأحقاد والخلافات التي لا سبب لها في العالم كله إلا التعصب للأديان، والتحمس لمبادئها.

وحين تعلن البابية والبهائية مبادئ الماسونية، فإنه لم يعد أمامها أي خيار في اتباع الوسيلة أو اصطناع الطريقة التي توصل إلى تلك الأهداف. إذ أنه قد أصبح لزاماً عليها أن تسلك خطاً واحداً هو الخط الماسوني فحسب ولذا فإن الميرزا محمد علي الباب كان دائم النظر في كتب اليهود، عاكفاً على قراءتها، بحيث لا تكاد التوراة المحرفة تفارقه حتى في أيام سجنه. والذي يقرأ الماسونية يعلم أنها في مراتبها الأخيرة تطلب من صاحب المراتب العليا أن يقسم على نبذ القرآن والإنجيل ومعاداتهما، ولا يحترم سوى التوراة، ولا يقدر من الأنبياء سوى موسى عليه السلام.

وينضم إلى ما ورد من شواهد في هذا المبحث : أن البابية بعد أن تحولت إلى البهائية بمقتل علي محمد الباب، أنشأت لها محفلاً في أرض فلسطين المحتلة لكي تعقد جلساتها في حرية، وتنشر مبادئها في العالم الإسلامي منطلقة من هذا الوطن الآمن بتشجيع من اليهود وحماية منهم.

الثالث : والمحور الثالث الذي اعتمد عليه اليهود في تدبير شئون الحركة البابية والبهائية، هو أن اليهود قد وجدوا أن هذه الحركة تحتاج إلى إعلام قوي، ودعاية شديدة، حتى تعلن على العالم كله نبل مقاصدها

وسلامة غايتها، وطيب ما تدعو إليه من مبادئ وأسس ونظم وتشريعات. ولسنا نحتاج هنا إلى تأكيد أن اليهودية لها تأثير قوي على الإعلام العالمي، بمختلف صوره، ولذا فقد وجهوا أجهزة الإعلام في العالم كله نحو شرح مبادئ البابية وغاياتها، وتعريف العالم بهذه المبادئ وتلك الغايات، كما وجهوا كبار الباحثين من المستشرقين المغرضين والمفكرين اليهود وغير اليهود لكي يتحدثوا عن هذه النحلة الجديدة.

ولقد تحمل كبر هذه المهمة كلها في مجال البحث العلمي الكاتب اليهودي جولد تسيهر الذي مجد هذه الحركة في إيران، واعتبرها نفرة لم يسبق لها مثيل، ثم تبعه غيره من الكتاب والمفكرين المأجورين.

وهكذا انضم إلى القوة المادية التي تأتي من روسيا قوة أخرى فكرية وإعلامية لها خبرة طويلة في المغالطة والدس والخداع، ولها ثأر قديم لدى المسلمين متمثلاً في مبادئهم الإسلامية، وتشريعهم الذي أصلح من أمر العالم حين أشرق بنوره لإزالة الفساد والضلال. ولكن يبقى العالم المسيحي لابد هو الآخر أن يكون له دور في هذا المجال:

والعالم المسيحي متشكك دائماً في اليهود واليهودية جانق على هذه الديانة وأصحابها، ولا يمكن له أن يسمع من زعماء اليهود أو أعلامهم، وإنما لابد أن يسمع من القساوسة المسيحيين ورؤساء الكنائس، ورجال الدين المسيحي أنفسهم على وجه العموم. ولكن ما الذي يضطر رجال الدين المسيحي إلى أن يشغلوا أنفسهم بهذه القيم الجديدة؟.

إن المتأمل في التاريخ الحديث يجد أن المستعمرين من الغرب المسيحي قد عجزوا تماماً عن مواجهة المسلمين بالسلاح، وهم يريدون الإحتفاظ بالأرض وثرواتها، واستغلال الشعوب لرفع اقتصادهم ومستوى معيشتهم. وكان لابد أن يحولوا الحرب إلى حرب دينية حيث إن العاطفة الدينية هي العاطفة الوحيدة التي يستعر نار أوارها حين تخبو نيران كل العواطف. ولما كان رجال الدين المسيحي من أهم الطوائف الذين يحصلون على الثروة والمال من الدولة، فإنه من الممكن للدولة أن تستغل هذه الطائفة

لحمل الشعب المسيحي على مواجهة المسلمين بالسلاح إن اقتضى الأمر، وبالفكر إذا احتاجت المسألة إلى مفكرين وعلماء.

ولقد كان رجال سفارات العالم المسيحي في إيران يتدخلون للدفاع عن البابيين والبهائيين جنباً إلى جنب مع السفارة الروسية، في نفس الوقت الذي كان بعض رؤساء الكنائس ورجال الدين يقومون بمشاركة الإعلام الماسوني في شرح أفكار البابية والبهائية وتقديمها للناس على أنها فكر متطور يشبه إلى حد كبير تصورات المسيحية في عيسى عليه السلام، حيث إن له صلة بالله عز وجل تخالف ما يتصوره المسلمون الذين يعتقدون في عيسى أنه رسول وعبد لله يوحى إليه. ويرى بعض رؤساء الكنائس أن البهائية حين تتصور عيسى عليه السلام، وقد حلت فيه روح الله تكون بذلك قد تقدمت خطوة نحو المسيحية، وقربت الشرق من الغرب قرباً يسمح لهما بالمصافحة والرضا. وهكذا أحكمت الخطة إحكاماً يسمح بتمثيل الأدوار القادمة.

علي محمد الشيرازي :

على هذه الأرض المهاد، وفي هذا المناخ الملائم، ولد علي محمد الشيرازي ميلاداً مغموراً وقع الخلاف بين المؤرخين حول تحديد وقته، فمن قائل : أنه سنة 1236 هـ مع اختلاف في الشهر من هذا العام، ومن قائل : أنه سنة 1235 هـ، إلى غير ذلك من الأقوال. وقد وصفت الأسرة التي نشأ فيها الشيرازي والسلالة التي انحدر عنها بأنها تمت بصلة إلى أهل البيت، وتنتسب إلى آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، غير أن بعض الذين كتبوا في البابية رأوا أن هذه مناورة من عشرات المناورات التي حاول البابيون خلالها إثبات بابية الباب أو مهدويته، ويستند الذاهبون إلى هذا الرأي في ترجيح قولهم إلى الألقاب التي كانت تمنح في إيران لأهل البيت، والأجيال المنحدرة عنهم، والتي تمنح لغيرهم من ذوي المراكز الممتازة أو الطبقات العليا من المجتمع، حيث كان اللقب الذي يمنح لسلالة أهل البيت هو أنهم هم السادة وواحدهم سيد ولا شيء غير ذلك، أما غيرهم من المتميزين في المجتمع فكان الناس يمنحونهم ألقاب أخرى كالميرزا والملا إلى آخره.

والمتتبع لتاريخ الباب في إيران يجد أن جميع من كتبوا عنه من المتحمسين له أو المناهضين لدعوته كانوا يلقبونه جميعاً باسم الميرزا، وفي هذا شيء من الدلالة على أنه لم يكن سليل البيت النبوي، ولم يحظ بشرف الإنتماء إليه[22].

ولم تشأ الأقدار أن ينعم علي بأبيه محمد رضا الشيرازي طويلاً، إذ أن أباه قد توفي وهو صغير، فانتقل إلى كفالة خاله الذي أثبتت الحوادث فيما بعد أنه كانت له صلة وثيقة بطائفة الشيخية والرشتية. وكان هذا وحده كافيا في أن يدفع هذا الخال بابن أخته إلى أحد المعلمين الذين يعلمون مبادئ الشيخية والرشتية في شيراز. ولم يظهر الفتى الصغير ميلاً إلى العلم في أول أمره مما دفع خاله إلى أن يأخذه معه في التجارة بعد أن تعلم شيئاً من قواعد النحو والخط الفارسي، وطرفاً من اللغة العربية، غير أن التجارة في شيراز قد أصيبت بالكساد فرحل الفتى إلى بوشهر حيث كان يقيم بها أحد إخوانه، وهناك اشتغل بالتجارة في الأقمشة والملابس، واجتمع به هناك أحد أقطاب الشيخية الكبار، فأخذ يوهمه بقرب ظهور المهدي، وأنه يرجو أن يكون هو، ودخلت هذه الفكرة عليه، فاشتغل بالرياضيات، وبعلم النجوم وتسخيرها، وبجملة أخرى من العلوم الوهمية، والسلوك الشاذ المنحرف، فأثر ذلك تأثيراً بالغاً في عقله، إزداد هذا التأثير بوفاة إبنه الأول بعد عام من حياته، فأدرك خاله أن ابن أخته قد أصبح يتصرف تصرفاً غير طبيعي، فأرسل به إلى العراق رغبة في الإستشفاء بعد زيارته لبعض الزيارات، ورحل الفتى إلى كربلاء حيث كان مقر الرشتية المتطورة عن الشيخية، وحيث كان كاظم الرشتي الكبير السن، الكبير المقام بين أتباعه مازال حيا يباشر دروسه بين مريديه وأتباعه، فتلقف الفتى لأول عهده بكربلاء، وكان الفتى قد تلقى مبادئ الشيخية والرشتية عاماً كاملاً في بوشهر قبل أن يأتي إلى كربلاء، وكان مستعداً غاية الإستعداد إلى تلقي تعليمات وإيحاءات كاظم الرشتي ومن وراءه، وفي مجالس الشيخ الرشتي كان هناك الجاسوس الروسي الذي سبقت الإشارة إليه يحرص أن لا يتغيب عن المجلس إلا لحاجة تقتضيها

(22) إحسان إلهي ظهير، البابية دراسة ونقد، مرجع سابق، ص148.

الخطة أو خدمة لأحد أهدافها. ومن يوم أن وصل الشيرازي إلى كربلاء، وهو يتعرض إلى الإيحاءات النفسية والتعاليم المشبوهة سواء من كاظم الرشتي أو من الشيخ عيسى أو من غيرهما. ولقد ألهب الشيخ بين أتباعه مشاعر المريدين بالأوصاف والتلويحات التي لا تكاد تخطئ علي محمد الشيرازي، وكانت الخطة ألا يظهر الباب إلا بعد وفاة الرشتي وانتقاله عن هذا العالم.

تلك هي المرحلة الثالثة من المراحل التي تضمنتها الخطة الإستعمارية التي عززها الفكر اليهودي واحتضنها ودافع عنها. وهذه المرحلة الثالثة لها مهمة متميزة هي في حقيقتها إستثمار لما سبقها من جهود الشيخية والرشتية. وهذه المهمة وإن كانت قد سبقتها تمهيدات وإيحاءات تمهد الأرض لها وتربي الجيل المستعد المتحمس لمبادئها ونصرتها، إلا أن هذه المهمة في حقيقة الأمر غاية في الصعوبة، لأنها تعبير عن المصادمات الحقيقية والمواجهة المباشرة مع شعور المسلمين وارتباطهم بدينهم. وذلك أن المهمة التي يطلب من الباب والبابية القيام بها تتمثل في مرحلتين :

إحداهما : نسخ الشريعة الإسلامية، وإبطال العمل بمقتضاها.

وثانيتهما : وضع شريعة جديدة لا تتصف بالحفاظ على التوازن الإجتماعي ولا تتميز برعاية الفرد، وإنما يكون هدفها الأول : فصل الإنسان المسلم عن القيم، وعزله عن العلاقة بربه وقتل روح المقاومة والنخوة فيه.

وهذا الهدف المزدوج لم يعد يقبل الإبطاء، ولا يتحمل الصبر وطول النفس وإنما من الممكن أن تقوم به البابية على سبيل التجربة التي تتيح للرابضين خلف الخطة أن يستفيدوا من أخطائها على أرض الواقع العملي، ثم يبرزوها بعد ذلك خالية من أسباب الخطأ عارية عما يؤدي إلى الفشل فيها.

مؤتمر بدشت :

أعلن علي محمد الباب عن دعوته ونحلته يوم الخامس من جمادي

الأولى سنة 1260 هـ، وتفرق أقطاب (حي)[23] في أنحاء إيران لإضلال الناس، والحصول على أكبر عدد ممكن من الأتباع، وقبض على علي محمد في شيراز، ثم أطلق سراحه بعد التوبة العلنية في المسجد الجامع أمام الناس ليعاد اعتقاله بعد تبين كذبه، وتنقل في السجون، حتى استقر في قلعة (ماه كو) قبل مقتله بفترة.

وفي عام 1264هـ، وأثناء وجوده في ماه كو، أمر الأتباع أن يصدعوا بالأمر وأخبرهم أن الوقت وقت التحرك، فدعا الأتباع إلى مؤتمر يعقد في صحراء بدشت وهي على نهر شاهرود[24] بين خراسان ومازندان، ووجهت الدعوة على حروف حي على أن يجمع كل واحد منهم من استطاع أن يضله من الناس.

وكانت أهداف هذا المؤتمر تنقسم إلى قسمين:

هدف معلن مشهر.

وهدف مطوي مستور.

أما الهدف المعلن، فهو بحث إمكانية تخليص الباب من سجنه.

وأما الهدف المستور: فهو نسخ الشريعة الإسلامية، والإعلان عن هذا النسخ بصورة تضفي على البابية والبابيين شخصيتهم التي تميزهم عما عداهم ممن يعتنقون الإسلام ويدينون به. واجتمع الناس في الموعد المحدد، وكان عددهم واحدا وثمانين عضواً ما بين رجل وامرأة. ولم يذكر المؤرخون أن واحداً أو واحدة من هؤلاء المجتمعين قد زاد عمره على الثلاثين إلا بزمن يسير.

وكانت وقائع الجلسات تسجل دراسة الموضوعين اللذين هما هدف

---

(23) هذا رمز في البابية على طريقة العدد الذي يقابل حرف الهجاء، فالحاء عندهم تساوي ثمانية والياء تساوي عشرة والمجموع يساوي ثمانية عشرة هم أولئك النفر الذين اتبعوه لأول وهلة، وصاحبوه في دروس الرشتي، وتفرقوا في الأرض للمحاولة على الحصول على أكبر عدد ممكن من المرتدين.

(24) النهر الكبير، وهي في الفارسية (شاهرود) كما هو في الأصل..

المؤتمر كله، غير أن طبيعة الدراسة في كليهما تحتم أن يكون أحد الموضوعين مطروح بشكل عام، والآخر يتردد بين الخاصة في مذكرات متبادلة.

واتخذ المؤتمرون قرارهم في الموضوع المتعلق بالباب، ووافقوا على ضرورة تخليصه عنوة أو سلماً.

وقد سجل المؤرخ البهائي "عبد الحسين أراره" جانباً من جوانب المؤتمر الذي اتخذ فيه قرار بوجوب تخليص الباب:

قال [لما تم عقد إجتماع الأحياء في (بدشت) شرعوا في البحث، وكانت مجالسهم منقسمة إلى طبقتين:

الطبقة الأولى: المجالس الخاصة وهي التي تعقد بكبراء الأصحاب وعظمائهم.

والطبقة الثانية: المجالس العامة، وهي التي تعقد بمن سواهم. أما المجالس فكانت المذكرات التي تجري بين خواص الأحياء وأكابرهم فيها تدور حول (تغيير الفروع، وتجديد الشريعة)، وبعد أن أقر الرأي العام على وجوب السعي في تخليص حضرة الباب وإنقاذه، قرر أيضاً إرسال المبلغين (أي الدعاة المبشرين) إلى النواحي والأكناف، ليحثوا الأحياء على زيارة الحضرة (أي الباب) في ماه كو (القلعة المعتقل فيها) مصطحبين معهم من يتسنى اصطحابه من ذوي قرباهم وودهم، وأن يجعلوا مركز إجتماعهم ماه كو، حتى إذا تم منهم العدد الكافي طلبوا من محمد شاه الإفراج عن حضرة الباب، فإذا لبى الشاه طلبهم فيها ونعمت وإلا أنقذوا الحضرة (أي الباب) بصارم القوة وحد الإقتدار[25].

وحسبما ذكر عبد الحسين فإن المؤتمرين قد توصلوا إلى قرار بخصوص الهدف المعلن من بين الأهداف التي دعي إلى المؤتمر من أجلها.

(25) علي المازندراني، الكواكب الدرية في ظهور البابية والبهائية، بيروت: دار النهار، 1989، ص ص218- 223.

غير أن هذه لم تكن أهم القضايا التي ينبغي على المؤتمرين بحثها، وليست سوى مجرد ستار للدعوة كي يجتمعوا لحل مشكلة أخطر وأعمق. وهذه المشكلة العويصة المستعصية هي إعلان المؤتمرين عن نسخ القيم والعقيدة الإسلامية (الشريعة الإسلامية).

ومما ينبغي أن يلفت النظر إليه هو أن هذا الهدف الثاني لم يكن يخطر على بال المؤتمرين فيما عدا الصفوة والخاصة منهم الذين تولوا قيادة المؤتمر والدعوة له، وهذا أمر يخلق لوناً من الإعضال أمام الصفوة والخاصة حين يريدون البحث عن الطريقة التي يعلنون بها عن نسخ الشريعة الإسلامية، وعن الشخص الذي سيتولى مباشرة الإعلان. إن الإعلان عن نسخ الشريعة الإسلامية معناه: أنه قد يؤدي إلى تصدع الجماعة التي غلط بأفرادها والتبس الأمر عليهم، وفي هذه الحالة فإن من أعلن عن نسخ الشريعة سوف يكون في نظرهم مرتد قد أهدر دمه. وتلك معضلة قاسية تردد أمامها باب الباب حسين البشروئي، ومحمد علي البارفروش الملقب بالقدوس وغيرهما من القادة أو الصفوة.

وكاد المؤتمر أن ينفض دون أن يجرؤ أحد على إعلان كهذا لولا امرأة عرفت بـ (زرين تاج) والملقبة بالطاهرة والمشهورة بقرة العين. إن هذه المرأة كانت قبل ردتها تنتسب إلى أسرة متدينة فحفظت القرآن ووقفت على بعض تفسيره كما درست الأدب ومنحها الله ملكة الكتابة بالشعر. هذه المرأة بما لها من صفات عرضت على الصفوة اقتراحاً يخرجهم من أزمة التفكير في شخص يعلن عن نسخ الشريعة. فقالت: من المعروف أن النساء في الإسلام إذا ارتدت الواحدة منهن فإنها لا تقبل بردتها[26]، وإنما تستتاب، وعليه

---

(26) قال ابن قدامة، [فمن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وهو بالغ عاقل دعى إليه ثلاثة أيام وضيق عليه فإن لم يتب قتل، وعنه لا تجب استتابته بل تستحب ويجوز قتله في الحال]. ثم قال في الحاشية: [قوله " فمن ارتد عن الإسلام إلخ، في هذه المسألة مسائل، (الأولى): أنه لا فرق بين الرجال والنساء في وجوب القتل. روى ذلك عن أبي بكر وعمر وبه قال الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والشافعي وإسحاق. وروى عن علي والحسن وقتادة أنها تسترق ولا تقتل لأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطى علياً امرأة منهم فولدت له محمد بن الحنفية وهذا بمحضر من الصحابة، فلم ينكر فكان إجماعاً.

فإنها قد اقترحت أن تقوم هي بالإعلان عن نسخ الشريعة الإسلامية في حالة غياب كبار الأحباب، فإذا صادف إعلانها استحساناً من المؤتمرين كان ذلك ما تهوى ويحبون، وإلا فإنه على القدوس محمد علي أن يباشر نصحها ويأمرها بالتوبة فتستجيب ويهدأ الجمع.

واستحسن الأصحاب منها هذا الإقتراح، وتصادف أن أصيب حسين المازندراني بنوبة زكام وتمارض القدوس محمد علي، فدعت زرين تاج أعضاء المؤتمر للإجتماع وألقت بينهم خطبة تعلن فيها عن نسخ الشريعة الإسلامية تناقلها رواة وكتاب ومؤرخو البابية.

قالت : [أيها الأحباب والأغيار إعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا، وأن انشغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل، ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد، وذلك الدين لحق هو دينه الجديد وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا نزر يسير، فبناء على ذلك أقول لكم لا أمر اليوم ولا تكليف، ولا نهي ولا تعنيف، وإننا نحن الآن في زمن الفترة، فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال، وواصلوهن بعد السلوة، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا، وأن الزهرة لابد من قطفها وشمها لأنها خلقت للضم والشم ولا ينبغي أن يعد ولا يحد شاموها بالكيف والكم، فالزهرة تجنى وتقطف، وللأحباب تهدى وتتحف، وأما ادخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به

وقال أبو حنيفة : تجبر على الإسلام بالحبس والضرب ولا تقتل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم "لا تقتلوا إمرأة، لأنها لا تقتل بالكفر الأصلي فلا تقتل بالطاري، كالصبي، ولنا قوله صلى الله عليه وسلم : "من بدل دينه فاقتلوه". انظر : إبن قدامة، المقنع، الجزء الرابع، بيروت: دار التراث الإسلامي، 1981، ص54.

والإستعمال فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال، ساووا فقيركم بغنيكم][27].

والذي يتأمل هذه الخطبة أو هذا الإعلان عن نسخ الشريعة الإسلامية، يتبين له من غير احتياج إلى إعمال فكر أنه بيان مربوط بالماضي من تاريخ الفرس مدفوع بالعاطفة والشهوة خاضع لتأثير اللذة والهوى.

وقد لمست المتحدثة غير إعلان النسخ قضيتين تجمعهما مقولة واحدة.

أما القضيتان فهما: الإشتراك في النساء والمال.

والمقولة التي تجمعهما هي أن زرين تاج ومن وراءها يميلون إلى المذهب الشيوعي ويعتنقونه. وليس الدافع بالطبع إلى القول بالشيوعية هو إيمان بفلسفة أو بفكرة بقدر ما هو خضوع إلى النزوة والهوى. وتاريخ الطاهرة زرين تاج، ورغبتها في أن تكون لكل امرأة تسعة أزواج، وهتكها الحجاب وثورتها على الأخلاق، وحقدها على الشريعة والقيم دليل في غاية القوة على أنها قد ذهبت إلى ما ذهب إليه مدفوعة بالرغبة، متأثرة بالمتعة الوقتية.

غير أن هذا الخطاب نفسه قد ترك انطباعات سيئة على المؤتمرين، وأوقعهم حديث قرة العين في هياج واضطراب، إذ أن المؤتمرين فيما عدا الزعماء والقادة قد أدركوا أنهم مقبلون على عمل خطير يجعلهم في جانب، وجميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم في جانب آخر. فما من أحد من المسلمين الذين قد أعلنوا الإنتساب إلى الإسلام سواء أخلصوا إلى مبادئه أو قصروا في بعضها يمكن أن يتخلى بسهولة عن عقيدة ختم النبوة وعموم الرسالة، سواء في ذلك الشيعة وأهل السنة، والمعتزلة والأشاعرة والأحناف والحنابلة ... إلى غير ذلك من طوائف المسلمين ومذاهبهم سواء في العقيدة أو في التشريع أو في تصور نظام الحكم إلى غير ذلك.

---

(27) محمد مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، المجلد الأول، بغداد: دار المخطوط، 1988، ص180.

في مؤتمر بدشت وما انطوى عليه من أحداث، وما تلاه من تصديق الباب على قراراته، نهاية للمرحلة الأولى وإنجاز الهدف الأول من الأهداف التي وجدت للبابية لكي تحققها على أرض الواقع العملي، فقد أعلن عن نسخ الشريعة الإسلامية وصدق الباب على هذا الإعلان، وهذا النسخ وإن كان نسخاً إلى بدل إلا أن هذا البديل لم يكتمل نضجه بعد، ثم تناثرت أجزاء منسوبة إلى الباب يمكن أن تكون بعد ذلك عناصر الشريعة الجديدة.

إن حرص الغرب على الوقوف مع البابية كان من باب تقويض قوة الإسلام والمسلمين، خاصة والعالم الإسلامي قد امتنع على المستعمر وأقض مضجعه. ومن حقنا أن نتساءل هنا لنقف على الحقيقة عن سر قوة المسلمين التي أرهبت المستعمر:

يجيبنا " كاردار " على التساؤل فيقول :

(إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا)[28].

ويشرح " لورانس براون " ذلك المعنى بقوله :

(... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قوته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته إنه الجدار الوحيد في وجه الإستعمار الأوربي)[29].

أما " وليم جيفورد بانكراف " فيدلنا على مصدر هذه القوة العظيمة، ومنبع هذه الطاقة الزاهرة فيقول :

(متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه[30])[31].

---

(28) الدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، بيروت: دار العودة، 1999 م، ص31.

(29) نفس المرجع، ص187.

(30) أ. ل شاتيليه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: هشام شرابي، بيروت: دار الفكر العربي، 1994، ص44.

(31) د. محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، مرجع سابق، ص ص14 - 15.

ونهاية المطاف أن هؤلاء الكاتبين إنما يعبرون عن اهتمام العالم غير الإسلامي على اختلاف ملله ونحله بالإسلام والمسلمين، ولكن هذا الإهتمام ليس دافعه الأخوة الإنسانية، أو العرفان بالجميل، وإنما دافعه في الحقيقة الإصرار الشديد على النيل من الإسلام والمسلمين.

ولقد رأى المستعمرون على اختلاف أشكالهم أنه من الممكن بعد هلاك الباب أن تختلف طائفته من بعده حول زعامات متعددة، بحيث يتنازع بعضهم بعضاً ويندفع أدنى احتمال لتوحيد بعض طوائف المسلمين حتى ولو كانت وحدتهم على الشر. وتخير المستعمرون من بين هذه الطوائف المتنازعة طائفة يدعمونها مباشرة ويدفعونها إلى ما يريدون بغير موازنة، وهذه الطائفة هي تلك التي تلتف حول الميرزا حسين علي المازندراني الذي أعدته الدولة الروسية لتولي هذه المهمة الجديدة بعد أن استنفد الباب كل طاقاته وما يستطيع أن يقدمه. وعرفت الطائفة الجديدة باسم "البهائية". وهو موضوع المبحث القادم.

المبحث الثالث

البهائية وطريق إيران إلى الحكم العالمي

تعتبر الشيوعية والوجودية والنفعية وغير ذلك، من المذاهب الهدامة في ميزان العقل العادي، وبرغم ذلك فهي تخلع على نفسها من الصفات والكلمات، وتعلن عن المبادئ والغايات، وتسوق من الأساليب والمبررات ما يخدع العامة والبسطاء فينجذبون إليها انجذاباً، فلا يجدون إلا الويل والدمار، كما ينجذب الفراش إلى النار فيجد فيها حتفه وفناءه من حيث أمله أن يجد فيها ضوءاً يفتح أمامه الطريق ويبصره بالهدف المنشود.

والبهائية فرقة متأخرة تربت على يد أساتذة تمرسوا على المؤامرة وتدربوا على أساليبها، فأخذوا بأكثر هذه الأساليب إحكاماً، وأشدها تأثيراً على العواطف والأرواح البسيطة.

وعلى أنقاض البابية رأت البهائية أن البابية قد فشلت لعدة أسباب أهمها :

أنها لم تكن لديها فكرة تشكل الأيديولوجية أو العقيدة التي تصنع الأفراد، وتجعلهم يندفعون من الداخل نحو الهدف والغاية المنشودتين: لفم يكن لدى البابية فكرة يدور البابيون حولها، فهلك الباب وهلكت البابية وانتهت سريعاً، مثلها مثل أية حماسة وقتية انتهت بانتهاء المؤثر والدافع إليها.

وليس من المنطقي بناء على ذلك أن يعيد داهية البابية المازندراني نفس التجربة، بل لابد وأن يستفيد من حركة التاريخ، ويحاول أن يتجنب أخطاء سلفه: فوضع للبهائية تعاليم خمسة اعتبرها أهدافا معلنة يسعى البهائي البسيط إلى تحقيقها. أما صفوة البهائية فهم يدركون تماماً أن هذه الأهداف أو التعاليم الخمسة ما هي إلا شبكة صيد وطعم يجذب إلى البهائية مجموعة العميان.

وهذه الأهداف المعلنة هي:

- وحدة الأديان.
- وحدة الأوطان.
- وحدة اللغة.
- السلام العالمي.
- المساواة بين الرجل والمرأة.

ولعلنا قد أشرنا سلفاً إلى أن فترة نضوج زعيم البهائية الميرزا حسين كانت وليدة إنضاج للفكر اليهودي، والتخطيط الماسوني. وبناء على ذلك فإنه ليس من الغريب أن نرى تشابهاً كبيراً بين البهائية والماسونية في المبادئ والغايات خاصة في نقطة الباب وهي التضليل في الأهداف والوسائل والتفريق بين أبناء الوطن الواحد، والدين الواحد، واللغة الواحدة.

ومن خلال السطور الآتية سنحاول إلقاء بعض الضوء على كل عنصر من هذه العناصر التي تشكل التعاليم الخمسة في الفكر البهائي:

■ وحدة الأديان :

إن وحدة الأديان قد نادى بها الكثيرون في الماضي، ونادى بها اليوم كثرة من المحدثين. وهؤلاء وأولئك كانت لهم فلسفة بغض النظر عن صوابها أو خطئها، إلا أنها- أي هذه الفلسفة- كانت ولاشك تشكل النواة التي يدور حولها المذهب كله: فالبعض مثلاً حين ينادي بوحدة الأديان خاصة الأديان السماوية ينطلق من فكرة مؤداها : أن هذه الأديان السماوية كلها قد صدرت عن مصدر واحد، وعلينا نحن البشر (كما يقولون طبعاً) أن نتجه إلى هذا المصدر بأي أسلوب من الأساليب التي طلب إلينا أن نتجه إليه بواسطتها.

وهذه الفكرة لا تميز بين أول الأمر وآخره، ولا تميز في عالم المجتمعات بين الثابت والمتغير من الظواهر. فإذا كان هناك أمران من مصدر واحد أحدهما متأخر عن الثاني، وهما متغايران كان من البداهة أن نتبع الأمر الثاني دون الأول.

ومن جهة أخرى فإن علماء الإجتماع قد ميزوا في الظاهرة الإجتماعية بين نوعين أحدهما ثابت والآخر متغير.

وهناك قضايا وتشريعات تتعلق بالظواهر الإنسانية المتغيرة، وهذه تحتاج إلى تغيير وتبديل يلائم هذا التغير الطبيعي في الظاهرة الإنسانية. فمن غير المنطقي أن يدعي إنسان أن هناك وحدة بين الأديان على أساس أن التشريعات كلها صالحة للممارسة القديم منها والحديث. ومن البدهي أن هناك وحدة في الأديان بشرط أن تكون الأديان صحيحة النسبة إلى الله عز وجل في كلياتها وتفاصيلها.

وأيا ما كان الأمر فإننا لا نقصد بالحديث مناقشة هذا النوع من البشر الذين يدعون إلى القول بوحدة الأديان على أساس فلسفة أو فكرة واضحة في أذهانهم. وإنما نخصّ بالحديث هنا البهائية الذين يدعون إلى وحدة الأديان من غير أن تكون لديهم فلسفة واضحة، وليس في أذهانهم فكرة يديرون حولها قضايا هذا المبدأ.

والأمر الذي يثير الإهتمام أن معنى وحدة الأديان لم يكن واضحاً بدرجة كافية في ذهن زعيم البهائية الأول (حسين المازندراني) كما لم تكن الفكرة واضحة في ذهن خلفائه من بعده، ولا أتباعه المقربين، وعلى رأسهم عباس أفندي بن البهاء، وشوقي أفندي حفيده: فهم تارة يشرحون وحدة الأديان على أنها بمعنى الاتحاد، أي أن كل من في العالم من أسود وأبيض وقاص ودان ينبغي أن يكونوا على دين واحد، وليس يدرى ما المقصود بهذا الدين، ولكن ما هو معروف تماماً أن البهائية قد طلبت بأن يكون العالم كله على دين واحد، بحجة أن هذا الإجتماع سوف يزيل العداوة الدينية نهائياً، وإلى الأبد.

ويشرح أسلمنت داعية البهائية نقلاً عن المستشرق الإنجليزي مستر براون : (أن يتحد جميع العالم على دين واحد، ويصبح جميع الناس إخواناً وتتوثق عرى المحبة والإتحاد بينهم وتزول الإختلافات الدينية وتمحى الإختلافات بين جميع البشر). ويقول المازندراني في لوحة الملكة فكتوريا : (وما جعله الله الدرياق الأعظم والسبب الأتم لصحته هو اتحاد من على الأرض على أمر واحد وشريعة واحدة).

والذي يقرأ هذه النصوص وأمثالها يجد أن هذا اللون من القراءة مغر بالإستمرار، ذلك أن المرء سيجد نفسه متشوقاً لتحصيل النتيجة التي سوف تترتب على هذه النصوص وأمثالها، إذ أنه من المفروض أن يقف الباحث على القصد الحقيقي من وراء هذه الدعوة والقيم، وما إذا كان المراد دمج هذه الأديان سماوية وأرضية، بشرية وإلهية، حقة ومارقة، كلها في دين واحد، أم أن هناك دينا مختارا سوف يجمع عليه البشر ويقبلون على مبادئه. على أن المازندراني لم يترك الباحث في حيرة من أمره، ولكنه بعد أن تردد، أزمع أمره على أن يكون الدين المختار هو الدين البهائي الذي أرسى قواعده بنفسه ووضع إسمه باعتباره إله البهائية وربها.

يقول المازندراني في كتابه الأقدس : (والذي يتكلم بغير ما نزل في الوحي أنه ليس مني، إياكم أن تتبعوا كل مدع أثيم). ويقول- في عصبية- في نفس المرجع: (اتقوا الله يا قوم ولا تتبعوا كل جاهل مرذول، وقل ويل

لك يا أيها الغافل الكذاب). وقال: (لقد ظهر الغيب المكنون والسر المخزون الذي زين كتب الأولين والآخرين بذكره ونطقت بمدحه وثنائه، بل نصب علم العلم بالعالم، وارتفعت راية التوحيد بين الأمم، لقاء الله لا يحصل إلا بلقائه، إنه ظهر بالحق، ونطق بكلمة انصعق بها من في السموات والأرض إلا من شاء الله، لا يتم الإيمان بالله ولا معرفته إلا بالتصديق عما ظهر منه (كذا) والعمل بما أمر به، وأمره الحكم الأعظم لحفظ العالم وصيانة الأمم، نور لما أقر واعترف، ونار لمن أدبر وأنكر).

وهذه النصوص التي اجتزأناها كافية الدلالة على تعصب البهائيين بدءاً بإمامهم لهذه النحلة التي انتحلوها، والديانة التي وضعوا أصولها. وهي كافية في نفس الوقت للدلالة على قصد البهائيين بدءاً بإمامهم من وراء ما ذكروه من وحدة الأديان، فهي تدل دلالة قاطعة على أن البهائيين يقصدون من ورائها حمل العالم كله على اعتقاد ديانة البهاء والسير على مبادئها، لولا أن البهائيين أنفسهم بدءاً بإمامهم قد نحوا منحاً آخر في شرحهم لمعنى وحدة الأديان. فهم وإن كانوا فيما ذكرناه سلفاً قد فهموا من وحدة الأديان إجتماع الناس على دين واحد، إلا أنهم قد عادوا إلى القول بأن وحدة الأديان تعني التسامح الديني، وعدم التعرض لأهل الأديان المخالفة سواء في ذلك أئمتها وأرباب الرأي فيها أو العامة والدهماء الذين يدينون بها بالسب واللعن أو العداء والجدال.

تعني وحدة الأديان إذن مجرد التسامح والتقارب بين وجهات النظر، والتعايش السلمي بين الجماعات المختلفة في عقيدتها وشريعتها.

وهناك من النصوص المتعددة التي صحت نسبتها إلى البهاء، وإلى خلفائه من بعده ما يؤيد دعوة البهائية إلى هذا الاتجاه: يقول المازندراني: (يا علماء الأمم غضوا الأعين عن التجانب وانظروا إلى التقارب والإتحاد، وتمسكوا بالأسباب التي توجب الراحة والإطمئنان وتعاشروا مع الأديان بالروح والريحان). ويقول إبنه عبد البهاء: (يجب على الجميع ترك التعصبات). ثم قال في جواب سائل سأله عما إذا كان من الجائز له أن يبقى على الطريقة التي درج فيها وتعلمها منذ طفولته ينبغي أن لا تنفصل عنها:

(فاعلم أن الملكوت ليس خاصاً بجمعية مخصوصة، فإنك يمكنك أن تكون بهائياً مسيحياً، وبهائياً ماسونياً، وبهائياً يهودياً، وبهائياً مسلماً).

فالمسلمون عند المازندراني ظلوا طوال سنوات وقرون على كتابهم المجيد، ولكنهم لا يفهمون منه شيئاً، الخاصة منهم والعلماء، بعيدون كل البعد عما يهدف إليه القرآن فهو يقول : (إنقضى ألف سنة ومئتان وثمان من السنين منذ ظهور نقطة الفرقان (يقصد النبي صلى الله عليه وسلم) وجميع هؤلاء الهمج الرعاع (يقصد المسلمين) يتلون الفرقان فى كل صباح، وما فازوا إلى الآن بحرف من المقصود).

وخلاصة القول في هذه المسألة أو هذا المبدأ: أن الهدف المعلن من ورائه هو: أن البهائيين أرادوا التمويه على الناس بأن وحدة الأديان تزيل أسباب العداوة فيما بينهم. غير أن الهدف المستور للبهائية هو تشتيت وحدة المسلمين وتمكين الأعداء من أرضهم وعقيدتهم.

وكانت المفاجأة أن الفكرة نفسها فكرة وحدة الأديان لم تكن واضحة في ذهن المازندراني أو أتباعه بشكل يرضي الباحث أو حتى يقرب به من الرضا.

■ وحدة الوطن :

إن المبدأ الثاني من المبادئ الخمسة التي تشرحها البهائية هو مبدأ وحدة الأوطان. وخلاصة هذا المبدأ أن البهائي يرى أن سبب البلاء والشقاء والفرقة والإختلاف هو أن كل إنسان يتعصب لوطنه، ويقف في وجه كل من يحاول الإغارة عليه أو اغتصابه. ولو رفعت الحدود السياسية، وانتهت الغيرة على الأوطان، واستطعنا أن نقتلع من نفوس الناس جميعاً محبة الوطن والإنتماء إليه لأمكننا أن نقضي على أسباب العداوة والبغضاء.

ويتوجه المازندراني باللائمة على ما كان قد درج عليه الناس قديماً من حب الوطن والولاء له فيقول : [قد قيل في السابق - حب الوطن من الإيمان - وأما في هذا اليوم فلسان العظمة ينطق ويقول: ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم].

ويقول خليفته الأول عباس أفندي: [التعصب الجنسي؟! - فهذا وهم وخرافة واضحة، لأن الله خلقنا جميعاً جنساً واحداً، ومنذ الإبتداء، لم تكن هناك حدود بين البلدين المختلفة، فلا يوجد في الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم]. وهذا المبدأ المؤيد بالشواهد الكثيرة والمتعددة قد يغري البسطاء ويقنع العامة. ولكن هذا المبدأ نفسه هو أكثر المبادئ الخمسة قرباً من الهدف الذي يرمي إليه المازندراني. والهدف الذي يقصد إليه المازندراني هو تمكن الروس من أرض إيران، وتمكن اليهود من أرض فلسطين، وإتاحة الفرصة أمام الإستعمار الإنجليزي لاستغلال الأوطان الإسلامية والسيطرة عليها.

والعقبة الكئود أمام تحقيق هذه الأهداف، هو ارتباط هؤلاء الشعوب كغيرهم من سكان المعمورة بأوطانهم وديارهم، وحرصهم على محارمهم، ورغبتهم في الذود عن حياضهم، والحفاظ على كرامتهم. فأراد المازندراني وخلفاؤه من بعده أن يضعفوا باسم الدين هذه الرغبة، وأن يقتلوا تلك العاطفة، فأما عن الأوطان فإن الوطن للجميع، وليس من حق الإيراني أو الفلسطيني أو غيرهما من الأقطار الإسلامية أن يغاروا إذا ما اغتصبت أوطانهم، وانتهكت حرماتهم لأن الغيرة رجعية لا ينبغي أن يعود الإنسان المتحضر إليها.

ثم يدفع المازندراني المسألة خطوة إلى الأمام في اتجاه الهدف المنشود، فيعتبر من يقاتل في سبيل الوطن أو المرض أو النفس خائب خاسر، ومن يقتل في سبيل عرضه أو ماله رجل آثم لا يستحق سوى اللوم والتقريع. ففي الماضي قد فرض الله الجهاد على جميع أنبيائه ورسله ومن سلك سبيلهم، غير أن المازندراني إله البهائية ينسخ هذه الفريضة ويلغيها فهو يقول : [البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم محو حكم الجهاد من الكتاب]. ويذكر أسلمنت أن البهائيين يحرم عليهم بحكم شريعتهم استعمال الأسلحة النارية، ولو دفاعاً كما صرح به المازندراني نفسه.

ولقد نقل عباس أفندي عن أبيه البهاء أنه نسخ حكم الجهاد بالكلية،

حتى ولو كان ذلك دفاعاً عن النفس، إذ أن المبدأ المعلن على لسان البهاء نفسه أنه من الأفضل للإنسان أن يموت مقتولاً عن أن يموت قاتلاً. وفي هذا الأمر إيضاحا لقرب هذا المبدأ من الهدف المنشود للبهائية، وهو خدمة الإستعمار والتمكين له في الأوطان الإسلامية.

■ وحدة اللغة :

العنصر الثالث من العناصر التي تهتم بها البهائية هو وحدة اللغة، وهذا العنصر يحظى باهتمام شديد في الفكر البهائي، باعتبار أنه هو العنصر الوحيد تقريباً الذي يمكن - من وجهة نظر البهائية - أن يقضي على الخلاف بين الشعوب، ويجتث جذور الشر إلى الأبد، ويتحول الجنس البشري إلى جنس آخر تكون طبيعته خيرية مطلقة، ولا يعرف الشر لأنه انتهج وحدة اللغة وسار على هذا المنهج حتى تخلص من قضية الشر نهائياً.

ومن أجل ذلك فإن البهاء يلفت النظر بشدة إلى وجوب الإلتزام بوحدة اللغة، والعمل على أن يتحدث الناس جميعاً بلسان واحد إن أرادوا الحضارة والمدنية، ورغبوا في الرقي والكمال. فيقول في كتابه الأقدس : [يا أهل المجالس في البلاد إختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض، كذلك من الخطوط، إن الله يبين لكم ما ينفعكم وما يغنيكم عن دينكم (لعلها في دينكم) إنه لهو الفضال العليم الخبير، هذا سبب الإتحاد لو أنتم تعلمون، والعلة الكبرى للإتفاق والتمدن لو أنتم تشرعون، إنا جعلنا الأمرين علامة لبلوغ العالم: الأول وهو الأس الأعظم نزلناه في ألواح أخرى، والثاني : نزل في هذا اللون البديع]. ويؤكد عبد البهاء على أن: [تنوع اللغات من أهم أسباب الإختلاف بين الأمم في أوروبا، ومع أنهم جميعاً ينتسبون إلى ملة واحدة، ولكن إختلاف اللغة بينهم أصبح من أعظم الموانع لاتحادهم، فأحدهم يقول : أنا ألماني، والآخر طلياني وهذا إنجليزي، والآخر فرنسي، ولو كان عندهم لسان واحد إضافي عمومي لأصبحوا متحدين].

وفي هذا الصدد يقول المازندراني بنقض موقفه الأول من وحدة اللغة،

ويجيز التعدد ويسمح به في نفس كتابه الأقدس [قد أذن الله لمن أراد أن يتعلم الألسنة المختلفة ليبلغ الله (البهائية) شرق الأرض وغربها ويذكره بين الدول والملل على شأن تنجذب به الأفئدة ويحيى به كل عظم رميم].

والباحث في الأمر يحار بعد فراغه من هذه النصوص حين يريد أن يتبين الموقف الحقيقي للبهائية في هذه القضية.

ثانياً: وليس هذا هو التناقض الوحيد، وإنما هناك تناقض بين ما قاله البهاء وما كتبه من جانب، وبين ما عمله على واقع التجربة من جانب آخر. فهو حين ينادي بوحدة اللغة، ويؤكد أنها أساس لرفع كل نزاع، نجد هذا الصراع الدموي الذي سجله التاريخ بينه وبين المسلمين من بني وطنه، وبينه وبين أخيه صبح الأزل وأتباعه، مع أن هؤلاء جميعاً ينطقون لغة واحدة، ويتحدثون بلسان واحد.

ثالثا: ومن الواجب التساؤل في المقام هنا عن ماهية اللغة العالمية التي يريد حمل الناس عليها، هل هي اللغة العربية، أم هي اللغة الفارسية؟، هل ستكون لغة من اللغات الشرقية، أم سيختار لغة من لغات الغرب؟. أي اللغات أولى من الأخرى؟ وما هو سبب الترجيح ..؟. تساؤلات كثيرة ومتعددة المناحي تطرأ على ذهن الباحث، ولا تجد لها سوى جواب واحد في الفكر البهائي وهو أن البهائية قد اختارت أن تكون اللغة العالمية هي لغة الإسبريانتو، وهذه اللغة قد اختارها الدكتور زمان هوف الهولندي لتكون لغة عالمية، حاول من خلالها هذا العالم أن يتلافى صعوبات اللغات الموجودة بالفعل في إملائها وإعرابها وتصرفاتها، ثم خيل له أنه باستطاعته أن يقدم للعالم لغة بعيدة عن مشاكل اللغات التي توارثها الأحفاد عن الأجداد والأسلاف. وبصرف النظر عن خطأ المحاولة أو صوابها، فإنه لا بد من التساؤل عن علاقة هذا العالم بالبهائية.

رابعا: على أن جميع النقاط السالفة الذكر يمكن أن تكون قاعدة ترتكز عليها حين نريد أن نربط هذه الدعوة البهائية بالهدف العام لتلك النحلة.

إن الهدف العام لتلك النحلة هو خدمة المستعمر الذي يطمع في

الأرض ومن على الأرض، وخدمة الماسونية العالمية بتحقيق أهدافها ونشر أفكارها: والمتأمل في حركة الماسونية العالمية يجد أنها قد حاولت إتخاذ اللغات وعلى الأخص اللغة العربية محور ارتكاز، لا لتوحيد الأمم، ولكن للتفريق بينها. والتخطيط الماسوني ليس تخطيطاً عشوائياً، ولا يشبه ضربات الحظ التي قد تخطئ وتصيب، ولكنه تخطيط مدروس يتحسس نقطة اللباب في وحدة كل أمة، ويحاول ضربها بيد قوية ليحصل على النتائج الجيدة في أقصر مدة ممكنة.

فلقد كان الغرب يجتمع على اللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية للعلم والأدب، ولكنه كانت له لغات الشارع يتعامل بها الشعب والبسطاء في قضاء معايشهم وأغراضهم الحياتية وهي تعتبر بمثابة اللهجات للغة الأم، فخططت الماسونية في الخفاء للقضاء على اللغة الجامعة ونادت بجعل اللغات العامية لغات مستقلة لا علاقة لها باللغة الأم.

وفي الشرق الإسلامي كانت اللغة العربية هي لغة العلم والدين والأدب، فأرادت الماسونية أن تفعل بها كما فعلت باللغة اللاتينية، وظهرت الصيحات المتعددة التي تنادي بإحلال العامية محل الفصحى، بحيث تكون لكل بيئة لغتها، ولكل جماعة لسانها الذي ينفصل عن اللغة الأم ويستقل عنها استقلالاً تاماً.

ولكن الماسونية هنا لم تستطع أن تثبت في ميدان القتال مع اللغة العربية وأربابها، كما ثبتت في الغرب مع اللغة اللاتينية، على أساس أن اللغة العربية هي لغة الدين والقيم والمشاعر والعقل والوجدان. فأرادت الماسونية أن تغير جبهة القتال بحيث لا تجرح المشاعر قبل أن تخدرها فإذا خدرت لا تشعر بالألم، وإذا لم تشعر بالألم لم يكن هناك رد فعل معاكس، فتستأصل الماسونية في هذه الظروف لباب الوحدة الشعورية من المشاعر المخدرة دون أن تجد أية مقاومة تذكر. فاختارت لهذه المهمة أقطاباً ورجالاً ينتسبون إلى الإسلام، ويدّعون النبوة والإتصال بالسماء ثم يدّعون بعد ذلك الألوهية، ومن بينهم حسين علي البهاء. ومن موقفه وموقف أمثاله يمكن للماسونية أن تنادي بأنها حريصة على وحدة هؤلاء الناس، وأنها حريصة

على إزالة كل ما ينقض هذه الوحدة أو يرفعها. ومن بين هذه العقبات إختلاف اللغات في العالم. ولابد أن ترفع هذه اللغات، ويحل محلها لغة أخرى يجتمع عليها الناس ليرتفع الخلاف فيما بينهم.

ويؤكد حسين البهاء استجابة لرغبات الماسونية أن محاولة جمع العالم كله على لغة واحدة إنما هي إرادة مقدسة. ويحاول حسين علي أن يكون غامضاً في أول الأمر فلا يكشف عن طبيعة اللغة المختارة أو ماهياتها حتى يتوهم المسلمون أنه قد يختار اللغة العربية لتكون هي اللغة المختارة، ولكنه بعد فترة من الزمن يعلن أن اللغة المختارة هي لغة الإسبريانتو التي أشرنا إلى منشئها والهدف من إنشائها سلفاً. وحين يعلن البهاء أن اللغة المختارة هي لغة الإسبريانتو وأن اختيارها رغبة مقدسة، فإن هذا الإعلان نفسه يشير إلى رغبة أكيدة عنده في طمس اللغة العربية بالدرجة الأولى لعزل المسلمين عن دينهم الذي يحمسهم للقتال، ويدفعهم نحو الغيرة على محارمهم ومقدساتهم، وهذا هو الأمر الذي أقلق اليهود وغيرهم من المستعمرين، فحاولوا إيجاد المتنبئين ليدعوا الناس إلى ترك الجهاد، وإلقاء السلاح بأمر من الله عز وجل، الأمر الذي تجده على لسان البهاء، وعلى لسان غلام أحمد القادياني في زمن واحد مع اختلاف الأوطان.

على أن هذه الدعوة إلى فصل العرب عن لغتهم العربية يمكن أن تفهم في مجالات متعددة من مجالات البحث العلمي التي تستغلها الماسونية استغلالاً شخصياً.

فالأبحاث التي يمكن أن تهتم بنشأة اللغات وتطورها تعتبر مرتعاً خصباً يمكن لليهود أن يستغلوه لأغراضهم الشخصية فهم يدفعون ببعض الآراء في هذا المجال التي مؤداها: أن نشأة اللغات يمكن أن تكون توقيفية في أول أمرها، وهناك من اللغات لغات مقدسة لم تخضع لعرف البشر أو اصطلاحاتهم، ثم تؤكد الماسونية أن اللغة المقدسة الوحيدة في العالم هي اللغة العبرية ويستشهدون على هذا الرأي من التوراة نفسها (وهو الكتاب الذي كتبه اليهود بأيديهم): ففي سفر التكوين جاء ما يلي : [والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم

ليرى كيف يسميها، وليحمل كل منها الإسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول][32].

وهذا النص حتى ولو اعتبرناه صحيح النسبة إلى الله عز وجل، لا يدل لا بالقطع، ولا بالإحتمال على قداسة اللغة العبرية، فقصارى هذا النص أن آدم قد عرضت عليه المسميات التي خلقها الله تعالى فوضع آدم لها الأسماء.

غير أن الماسونية تحاول بالتمويه أن توهم الخلائق بأن اللغة المقدسة هي اللغة العبرية، وليس ذلك بصحيح. ومهما كان لهذا الإتجاه من ردود فعل على بعض علماء العرب كإبن جني الذي اعتبر أن اللغة العربية توقيفية النشأة، فإن هذا الإتجاه ليس هو الإتجاه الصحيح في تفسير نشأة اللغات، وبيان كيفية وضع الألفاظ والأسماء. وإن أفضل ما يمكن أن يقال هنا: أن نشأة اللغات إنما هي ضرورة اجتماعية إحتاج إليها النوع البشري ليضع من خلالها بالعرف والتصالح ألفاظا لأشياء أراد أفراد النوع أن يربطوا بينها، ليسهل لهم حركة التعبير عنها، والتعامل معها[33].

وإذا انتفت دواعي التشكيك في إخلاص البهاء والبهائية للماسونية العالمية، فإنه بنفس الدرجة تكون دعوة البهائية لوحدة اللغة لا يقصد من ورائها إلا طمس اللغة العربية ومحو آثارها، بقصد فصل الأمة الإسلامية عن دينها وكتابها.

■ السلام العالمي وترك الحروب:

أما الفكرة الرابعة التي يرافع من أجلها البهائيون فهي السلام العالمي ونبذ الحروب وترك القتال والجهاد، إذ أن الإنسان- أيا كان الإنسان على ظهر المعمورة- هو أخ لجميع إخوانه من البشر لا يجوز له مقاتلته، ولا الإعتداء عليه، بل من الواجب أن تسود بينهم الألفة والمحبة، وأن يعيشوا جميعاً على ظهر هذه الأرض في سلام ووئام.

---

(32) سفر التكوين - الإصحاح الثاني - الآية 19 وما يليها.

(33) د.صبحي الصالح، دوسات في فقه اللغة، بيروت: دار الطليعة، 1979 م، ص33.

وفي هذا المجال يعهد حسين المازندراني إلى أعضاء بيت العدل[34] بهذه المهمة والحرص على تنفيذها بحيث يكون هؤلاء الأعضاء هم الموكلون بالتخطيط لإسقاط الجهاد، والعمل على قتل روح المقاومة.

إن العمل على تحقيق السلام العالمي يمكن أن يكون مقبولا إذا كان القصد منه هو تضييق دائرة الشر وانحصار أتباعه، ولكن لابد لكي يتحقق هذا النوع من السلام أن يكون هناك معيار يحتكم المتنازعون إليه، وميزان يخضع المتخاصمون لمعاييره ونتائجه، وهذا الميزان وذلك المعيار لا ينبغي أن يكون أمراً عاطفياً أو إجراء وجدانياً، أو إعلاماً صارخاً.

غير أن قوى الشر في العالم حين تخادع وتلوح بمبادئ السلام العالمي لا تقبل بهذا المعيار، ولا تحب أن تستسلم له، ذلك أن مفهوم السلام العالمي عندها لا يعني سوى مبدأ القوة الذي مثله " نيتشه" الألماني أصدق تمثيل. والمتصفح لتاريخ الماسونية العالمية يجد أنها صاحبة هذه الدعوة التي لها ظاهر وباطن، ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها فيه الحروب والآلام والفتن والأزمات.

ومن حق المرء أن يتساءل عن عصبة الأمم من أنشأها، ومن الذي خطط لها، وما هو الطرف الذي أنشئت وأسست فيه؟. ومن حق المرء كذلك أن يتساءل عن الأمم المتحدة، ومن أنشأها وما دورها الذي تؤديه في العالم، ومن الذي خطط لها؟.

---

(34) إن وزراء أو أعضاء بيت العدل عند البهائيين هم السلطة العليا، وهي وإن كانت قد أنشئت مؤخراً إلا أنها هي المسئولة عن متابعة تنفيذ تعاليم البهائية، ونشرها بدقة في العالم. وأعضاء هذه الهيئة تسعة أعضاء. والمتأمل في هذا التشكيل يجد أنه يشبه إلى حد كبير بعض التشكيلات الماسونية، فالتشكيل الماسوني يتكون من ثلاث درجات أو مراتب: الأولى من هذه المراتب الثلاث: تنظيم الجهلة والعامة من المنتسبين إلى الماسونية، والثانية : تمثل مجموعة الوسطاء بين الطبقة الأولى والطبقة الثالثة، أما الطبقة الثالثة فهم أعضاء المحفل الكوني، وهم يتكونون من تسعة أعضاء من كبار المفكرين اليهود في العالم وهم مسئولون مسئولية كاملة عن تطبيق الفكر الماسوني في العالم، والعمل على تنفيذه بكل دقة، والتخطيط له بكل عناية ورعاية، وما عدا هؤلاء التسعة فهم من العميان الذين لا يفهمون ولا يدركون إلى أين يتوجهون. فانظر إلى هذا التشابه الدقيق بين البهائية والماسونية حتى في التنظيم.

مؤسسات كبيرة معلومة الهدف مفهومة الظروف والنشأة التي نشأت فيها.

فهل سيعتبر بيت العدل[35] الذي نادى به مؤسس البهائية حسين علي وأوكل إلى الفكرة التي تمثلها الآن الأمم المتحدة، وقبلها عصبة الأمم نموذجاً مصغراً للفكر الماسوني في أخريات القرن التاسع عشر، عدلت عنه الماسونية فيما بعد وقوع الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية؟! من حقنا إذا أن نتأمل.

■ المساواة بين المرأة والرجل:

إن الفكرة الخامسة والأخيرة التي لوح بها البهائيون على أنها هي الراية البيضاء التي توقف النزاع والصراع بين أمم العالم، وترفع الظلم الإجتماعي بين بني البشر هي المساواة بين الرجل والمرأة: إن الله عز وجل قد خلق الرجال والنساء من أصل واحد، فهم أخوة يجب أن يكونوا مشتركين في الحقوق والواجبات، غير أن الإنسان قد انحرف عن هذه الحقيقة على طول التاريخ وعرضه، فزعم الرجال لأنفسهم سلطة ليست لهم، وتوهموا أن لهم مكانة ترتفع بهم عن مكانة النساء فظلمت المرأة وقهرت، وترتب على ظلمها وقهرها ظلم إجتماعي يجب رفعه، ومفاسد أخلاقية ينبغي تلافيها. وترى البهائية أن هذا الظلم وتلك المفاسد لا يرفعهما إلا المساواة بين الرجل والمرأة. تلك هي فلسفة النحلة البهائية وإعلانها الظاهر لإقناع البسطاء من الناس، ولتحقيق أكبر رقعة ممكنة تضم أكبر عدد ممكن من بني البشر الذين يدخلون في البهائية.

وهذا المبدأ الذي أعلنته البهائية هو الآخر له ظاهر وباطن، ظاهره شيق جذاب، وواقعه مؤلم حزين.

---

(35) يجب أن يشار هنا بوضوح إلى أن بيت العدل وهو السلطة العليا في الديانة البهائية ظل حلماً وخيالاً يداعب عاطفة المازندراني حياته كلها ولم يخرج إلى أرض الواقع، ثم من بعده داعبت هذه الفكرة خيال عبده عباس أفندي ما بقي على ظهر هذه الأرض ثم ضمته بين جوانحها ورفعت عليه ترابها في غير فخر قبل أن يتحقق بيت العدل أو يتكون ثم قدر له الظهور بعد ذلك في عام 1962م بعد أن انحرفت عنه الماسونية إلى غيره كعصبة الأمم وهيئتها من بعده.

والذي يظهر لنا وللمهتم من خلال مراجعة أدبيات البهائية والبهائيين: أن حسين المازندراني لم يفهم ما المراد بالمساواة وإنما ألقيت إليه الفكرة إلقاء فرددها كما يرى أصحابها له أن يرددها. والقابعون خلف البهائية كانت لهم قبل ذلك جولات في الغرب للتفريق بين المسيحيين في أوطانهم ودياناتهم. ولذا فإنه في سبيل هذا التفريق رأت الماسونية العالمية أن تستخدم المرأة رمز الفضيلة، وتستخدم العلاقات بينها وبين الرجل الذي ينظمها الدين على أساس يعبر عن الرقي الإنساني، وحضارة النوع البشري.

أرادات الماسونية العالمية أن تستخدِم ذلك كله بطريقة منعكسة فمجدت الإنحراف، وهبطت بمستوى العلاقات بين المرأة والرجل إلى حد ينزل عن درجة الحيوان. ولم يكن المخططون داخل المحفل الكوني -وهو أعلى سلطة في الماسونية- أناسا عاديين من حيث مستوى الذكاء، فاستطاعوا من خلال قدرتهم على التخطيط المحكم أن يخلعوا على الرذيلة ثوب العلم، ويضعوا على صدرها شارات الحضارة، فاستخدموا لذلك ثلاثة من كبار العلماء كل واحد منهم في مجال يختلف عن الآخر.

ففي مجال الإقتصاد إستعملوا (كارل ماركس) لكي ينشر المبدأ القائل: إن قضايا الدين والإجتماع والأخلاق ... إلخ إنما هي قضايا ناتجة عن حركة الإقتصاد، فهذه القضايا الإجتماعية والظواهر الإنسانية ليست إلا ثمرة من ثمرات الحركة المادية الإقتصادية. وعليه فإنه لأمر طبيعي إذا تحول الإقتصاد من الزراعة إلى الصناعة أن يتحول النساء مع هذا التحول من خدورهن إلى عنابر المصانع مع الرجال يعملن كما يعملون، ويختلطن بهم ويختلطون بهن، ويترتب على هذا الإختلاط مفاسد أهمها انحطاط الخلق، وزعزعة العلاقة بين الرجل والمرأة. غير أن لهذا الناتج الأخير أشياء معنوية واجتماعية. وبما أنها لازمة من لوازم النموذج الإقتصادي فإنه لمن الرجعية والجهل أن يعتبرها الرجال والنساء عيباً، فإن الحكم عليها وعلى أمثالها بأنها عيب أو رذيلة، أو أشياء تخدش الشرف والكرامة إلى غير ذلك، إنما هو أثر من آثار الماضي، وجهل ممن يعتقدون بمثل هذه الأحكام، لأنهم يريدون أن يطبقوا آثار المجتمع وأحكامه على آثار المجتمع الصناعي ونتائجه، فعلى هؤلاء الرجعين من وجهة نظر هذا المذهب أن يؤمنوا بناتج

المرحلة الجديدة، وأن يطبقوا بكل دقة المساواة بين الرجل والمرأة في جميع المجالات.

[ولقد ساعد على نشر هذا المبدأ أشياء كثيرة منها قلة اليد العاملة والحروب المدمرة التي استهلكت الكثير من الرجال وطحنتهم بين فكي رحاها].

وفي نفس الوقت تقريباً دفعت الماسونية بعالم آخر في مجال آخر لكي يمجد الرذيلة ويعلن المساواة، ويقنن لهما وهذا العالم الجديد هو (إيميل دوركايم) الذي تزعم مدرسة من أهم مدارس علم الإجتماع في العصر الحديث. غير أن الماسونية قد أدركت أن الضغط الإقتصادي والتقنين الإجتماعي في وقت واحد ربما لا يكفيان، فلابد من إقناع الفرد داخلياً، وإذاً فقد تأسست مدرسة معاصرة لهذين الإتجاهين اللذين اختلفا في التخصص واتحدا في الهدف وهي مدرسة التحليل النفسي الذي تزعمها (سيغموند فرويد). وهذا الأخير تحدث عن الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة بطريقة سافرة، وبين أنه من الواجب أن تتم هذه العلاقة على أعلى صورها من غير خضوع لآداب أو عرف، ذلك أن هذه الآداب وتلك الأعراف حينما وضعت شكلت تقييداً على ممارسة الرجل والمرأة للعلاقة الطبيعية بينهما وهو حق مشروع.

وقد أرجع (سيغموند فرويد) جميع العقد والأزمات النفسية والإكتآبات والإضطرابات وفزع الليل وآلام الوجدان، وعدم القدرة على التكيف... إلخ إلى الجنس بالدرجة الأولى، وإلى غيره بدرجة أقل.

وهكذا إستطاع الأقطاب الثلاثة بمساعدة الإعلام اليهودي الذي سيطر على جميع أنحاء العالم أن يمجدوا الرذيلة باسم العلم، وأن ينالوا من أصحاب الفضيلة باسم الرجعية والتخلف. وآمن الشباب بهذا الإتجاه في الغرب كرد فعل معاكس لسوء معاملة رجال الكنيسة لهم طوال عصور الظلام[36].

---

(36) محمد قطب، الثابت والمتغير في حياة البشر، القاهرة: دار الشروق، 2008 م، ص71.

والمتأمل في هذه الحركة كلها في الغرب والتي ظهرت مع ظهور عصر النهضة يجد أن النقطة المحورية وعماد الإرتكاز في القضية كلها كان هو العلاقة بين المرأة والرجل، وتفرق العالم المسيحي وتفرقت أهدافه وانفصل الدين فيه عن الدولة، وماتت فيهم معاني وقيم الفضيلة والغيرة عليها.

وحين تريد الماسونية أن تقوم بنفس العمل في الشرق فإنه لابد لها أن تعتمد على نفس الخطة الناجحة، والبداية هي العلاقة بين المرأة والرجل، ولا مانع إذاً والحالة هذه أن يتوجه (حسين علي) إلى الأمة الإسلامية بهذه الدعوة (المساواة بين الرجل والمرأة) ويحاول أن يقنن لهذه الدعوة، ولو كان القانون غير معتمد على الواقع، ويحاول أيضاً أن يمد بينها، وبين العلم سبباً يشدها إليه. على أن هذه القضية (قضية العلاقة بين الرجل والمرأة) بصرف النظر عن استغلالها كانت موضع اهتمام الباحثين والدارسين على طول التاريخ وعرضه.

المسألة إذا ليست مسألة أيهما أفضل الرجل أم المرأة، وإنما هي مسألة ما يمكن فعله للحفاظ على خط التوازن مستقيماً كما هو، وليست المسألة مسألة مساواة بين الرجل والمرأة، وإنما المسألة أكبر من ذلك: إنه الإستقرار الإجتماعي وعدم الإضطراب لا في الأسرة الصغيرة ولا في المجتمع الكبير. تلك هي القضية وهذا هو أسلوب علاجها الذي لم يستطيع المازندراني ولا غيره أن يقترب من لبابها أو حتى قشورها.

وبعد فهذه هي التعاليم الخمسة التي اعتبرها البهائية دستور حضارة وأسلوب مدنية تهديه البهائية للبشر لتنقذ البشرية من الظلمات إلى النور، عرضناها باختصارها كما كشفت عن الخيط الرقيق الذي ربط البهائية بالماسونية العالمية وأهدافها التي تريد أن تعود بالبشرية إلى وضع متردد لم يسبق لها أن مرت به في تاريخها الطويل.

المبحث الرابع

الواقع الصهيوني لإيران وأثره على السياسة الدولية

لقد قطعت واشنطن العلاقات مع إيران في عام 1980م، وكانت ترى فيها خطرا على مصالحها في الخليج!. في حين كانت الولايات المتحدة الأمريكية في ثقافة الثورة الإيرانية (الشيطان الأكبر)!، هذا في العلن، أما في السر فبدا أن إيران - رابع أكبر منتج للنفط في العالم - كانت "تتمتع" بعلاقة دافئة مع واشنطن خلال تلك الحقبة الغابرة. وبالرغم من أن إيران ضمن محور الشر الذي أعلنه الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ورغم استمرارها في برنامجها النووي وصناعتها العسكرية للأسلحة بعيدة المدى، ورغم اتهامها بأعمال إرهابية على صعيد الخارج، ورغم النظر إليها باعتبارها تهديدا للأصدقاء، إلا أنها لم تتعرض لأي هجوم أمريكي!، فمصلحة واشنطن كانت دوما تحجيم طهران وليس القضاء عليها، وذلك منذ الحرب العراقية الإيرانية!. و"الواقع أنه رغم أن إيران تصنف الولايات المتحدة على أنها (الشيطان الأكبر) الذي تنبغي مواجهته، فإن تأكيدات المواجهة لم تتعدَّ التصريحات والهتافات بالموت لأمريكا"، فقد أكد محمد خاتمي- الرئيس السابق للجمهورية الإيرانية - "أن إيران ليست راغبة في الحرب مع أحد، حتى مع أعدائها"![37]. ويقول العميد محمد باقر ذو القدر- نائب القائد العام لجيش حراس الثورة الإسلامية -: "إننا لا نرحب بالحرب، ولكننا ندافع عن هويتنا"!.

الهوية! التي توصف اليوم بأنها ضد الكيان الصهيوني!!![38] وهذه قضية أخرى!. فإذا كانت دولة إيران من أوائل الدول التي اعترفت بالكيان

---

(37) لاحظ إنتشار الأفكار الثورية دائماً بين الشيعة، وهذا يؤكد الصلة بين التشيع والشيوعيين، لأنهم من مصدر يهودي!

(38) أصدر شيعة السعودية كتاباً في الثناء على جهيمان وتمجيد ثورته بعنوان "دماء في الكعبة!"، وذلك لأنهم يرون أن نجاح جهيمان في القضاء على الدولة السعودية يفتح لهم باباً واسعاً للقضاء عليها فيما بعد.

اليهودي سنة 1948م بقيادة القادة الشيعيين من ملوك إيران!، فالوضع لم يتغير بعد قيام الثورة "الإسلامية" بقول بني الصدر، في حديثه حول علاقة إيران بإسرائيل في حربها ضد العراق: "في اجتماع المجلس العسكري أعلمنا وزير الدفاع أننا بصدد شراء أسلحة من إسرائيل، عجباً كيف يعقل ذلك؟!، سئل: من سمح لك بذلك؟، فأجاب: الإمام الخميني. فقيل له: هذا مستحيل!!، فرد: إنني لا أجرؤ على عمل ذلك وحدي. وعندما سئل الخميني إذا حقيقة سمح له بذلك؟، أجاب بالإيجاب: نعم، إن الإسلام يسمح بذلك. وأضاف قائلاً: إن الحرب هي الحرب. فرد عليه الصحفي الإيراني آنذاك: صحيح أن الحرب هي الحرب ولكن نعتقد أن حربنا نظيفة، الجهاد وهو أن تقنع الآخرين بوقف الحرب، والتوق إلى السلام، نعم، هذا الذي يجب عمله، وليس الذهاب إلى إسرائيل وشراء سلاح منها لمحاربة العرب، لا، لن أرضى بذلك أبداً. غير أن "إيران غيت، شراء الأسلحة الأمريكية عبر الكيان الصهيوني" لم تغب عنها شمس الحقيقة!. كما أن علاقة إيران الثورة مع الكيان الصهيوني لم تدم في الخفاء!. فقد صرح ديفيد ليفي - وزير الخارجية اليهودي في حكومة نتنياهو سابقا- قائلا: إن إسرائيل لم تقل في يوم من الأيام أن إيران هي العدو!. ويقول الصحفي اليهودي أوري شمحوني: إن إيران دولة إقليمية ولنا الكثير من المصالح الإستراتيجية معها، فإيران تؤثر على مجريات الأحداث وبالتأكيد على ما سيجري في المستقبل، إن التهديد الجاثم على إيران لا يأتيها من ناحيتنا بل من الدول العربية المجاورة!، فإسرائيل لم تكن أبدا ولن تكون عدوا لإيران!. كما أعلن إيتان بن تسور - مدير عام وزارة الخارجية الصهيونية - عن عدم وجود خصومة بين الطرفين - أي الكيان الصهيوني وإيران- فتنتفي دوافع العداء بينهما على المستويين الرسمي والشعبي!. الشيء ذاته أكده السفير الصهيوني المتقاعد هانان باريمون - الذي عمل مستشاراً لرئيس بلاده سابقا عايزرا وايزمان - في اليوم الأخير من الحلقة النقاشية عن الخليج والغرب والتي نظمها مركز مؤتمرات ويلتون بارك، قال السفير: إيران دولة إقليمية مهمة ليس لنا معها أو مع شعبها أي خلاف أو عداء!، وإن عليها أن تعمل للتكيف مع ظروف النظام العالمي الجديد!. لكن لطالما حرص الكيان

الصهيوني على ألا يحرج طهران أو يفضحها!، فأصدرت حكومة نتنياهو أمرا يقضي بمنع النشر عن أي تعاون عسكري أو تجاري أو زراعي بين الكيان الصهيوني وإيران، وجاء هذا المنع لتغطية فضيحة رجل الأعمال اليهودي ناحوم منبار الذي أدانته محكمة تل أبيب بالتورط في تزويد إيران بـ50 طنا من المواد الكيميائية لصنع غاز الخردل السام!. وقد تقدم المحامي اليهودي أمنون زخروني -حينها- بطلب بالتحقيق مع جهات عسكرية واستخباراتية أخرى زودت إيران بكميات كبيرة من الأسلحة أيام حرب الخليج الأولى! .فقد قامت شركة كبرى تابعة لموشيه ريجف، الذي يعمل خبير تسليح لدى الجيش الصهيوني، ما بين (1992م-1994م) ببيع مواد ومعدات وخبرات فنية إلى إيران، وقد كشفت عن هذا التعاون الإستخبارات الأمريكية بصور ووثائق تجمع بين موشيه والدكتور ماجد عباس رئيس الصواريخ والأسلحة البيولوجية بوزارة الدفاع الإيرانية. وقد نقل عن كتاب "الموساد" للعميل السابق في جهاز الإستخبارات البريطانية ريتشارد توملينسون: وثائق تدين جهاز الموساد لتزويده إيران بمواد كيمياوية!. وذكرت صحيفة "هآرتس" أن ريتشارد توملينسون، وهو عميل سابق لجهاز الإستخبارات البريطاني، أكد في كتابه أن جهاز الإستخبارات الخارجية الصهيونية (الموساد) ساعد إيران على شراء عتاد كيمياوي في وقت كان يقود حملة إستخباراتية دولية لإحباط خطط إيران، لكن في الوقت ذاته عمل الموساد سراً ووحده من دون علم الأطراف الأخرى وبالتعاون مع الإيرانيين لعقد صفقة تهدف إلى مساعدة الإيرانيين في جهودهم لإنشاء مصنع للأسلحة الكيماوية في مقابل إطلاق الطيار الصهيوني "رون أراد" الذي قبض عليه في لبنان بعد سقوط طائرته![39]. "في كل الأحوال فإن من غير المحتمل أن يقوم الكيان الصهيوني بهجوم على المفاعلات الإيرانية، وقد أكد عدد كبير من الخبراء تشكيكهم بأن إيران - بالرغم من حملاتها الكلامية - تعتبر الكيان الصهيوني عدوا لها. وأن الشيء الأكثر احتمالا هو أن الرؤوس

(39) Chubin, Shahram. *Whither Iran? Reform, Domestic Politics and National Security*. Oxford, UK: Oxford University Press, 2002, p.13.

النووية الإيرانية موجهة للعرب"! .وإيران التي ساهمت في احتلال العراق، تعلم مؤكدا بوجود الموساد الصهيوني وكافة الأجهزة الإستخبارية الأخرى على أرض العراق، وتعلم أن هناك وجود صهيوني! لا بل مشروع صهيوني! تقوم به قوات الإحتلال الأمريكي والشركات اليهودية على أرض العراق لتمزيقه إلى دويلات طائفية وعرقية!، ونهب ثرواته ومقدراته!. فماذا يمنعها على ألا تعمل على محاربة الوجود والتغلغل الصهيوني تحت غطاء الخبراء والضباط والجنود والشركات؟! رغم نفوذها في الأوساط الشيعية! ووجودها على الساحة من خلال عشرات الميليشيات المسلحة التي تصفي الوجود السني العربي! في حين يعلن الجعفري والبارزاني عن نيتهما لتطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني من خلال فتح قنصلية رسمية في أربيل شمال العراق!.
إنه وعلى الرغم من تصريح كل من الجانبين بخطر التهديد الإستراتيجي الذي يمثله الطرف الآخر، وعلى أعلى المستويات السياسية، غير أن التاريخ والواقع يثبت أن هذا التهديد ليس إلا غطاء يحجب علاقة إستراتيجية بين إيران والكيان الصهيوني تتخلله لحظات فتور أو خلاف عابرة سرعان ما تلتئم .فقد حافظت إيران بزعامة الشاه على موقف مناصر لليهود الصهاينة أثناء حروب العرب ضد الكيان الصهيوني، فقد واصلت تزويد الكيان الصهيوني بالنفط في فترة الحظر النفطي الذي فرضه العرب في سبعينات القرن الماضي. كما أنها وفرت طريق الهروب أمام يهود العراق الراغبين في الهجرة إلى الكيان الصهيوني بعد عام 1948م[40]، وكانت واحدة من أوائل الدول الإسلامية التي أقامت علاقات دبلوماسية وتجارية مع الكيان الصهيوني المحتل.كما كان اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، ورغبة منه في استنزاف العراق ثروة وجهدا، وراء تزويد الولايات المتحدة الأمريكية إيران بالسلاح في حربها ضد العراق خلال ثمانينات القرن الماضي، بل كان الكيان الصهيوني وسيطا في صفقة السلاح مقابل الرهائن التي أبرمت في عهد إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق "رونالد ريغان"!. ويبلغ

---

(40) Behrooz, Maziar. *Rebels with a Cause: The Failure of the Left in Iran*. London: I.B. Tauris, 2000, p.59.

عدد اليهود المهاجرين إلى الكيان الصهيوني من أصل إيراني حوالي 200 ألف نسمة، وفي المقابل يبلغ عدد اليهود في إيران حوالي 25 ألف نسمة، وهي من أكبر الجاليات اليهودية في الشرق الأوسط خارج الكيان الصهيوني في الوقت الراهن.

بهذا الوضوح وهذا الجلاء نكون قد وصلنا إلى الواقع الذي يتحدث عنه صبحي الطفيلي[41]: "اليوم هناك محاولة أمريكية لأن يلعب الشيعة دورا لصالح أمريكا في المنطقة، وهناك جهات سُنية تراقب وتعتبر هذا الدور دور عمالة للكفر وجريمة ضد الإسلام، وبالتالي الشيعة يلعبون دورا قذرا، سيقال: الأمور بوضوح هذا الأمر قد تتفاقم وتصل إلى درجة يصبح قتل الشيعي وقتل الأمريكي سيان عند شريحة واسعة من المسلمين، ويصبح إذا صدق الناقلون أن قتل الناس في كربلاء في يوم عاشوراء أو في الكاظمية أمر من ضروريات العمل لتحرير الأمة الإسلامية من الوجود الأمريكي وهذه مصيبة! .و للخروج من هذه النتيجة، يقول الطفيلي: "على المسئولين الشيعة وعلى رأسهم إيران أن يبعدوا أنفسهم عن القطار الأمريكي"!، لأن هذا القطار سيرحل في يوم من الأيام!، وإذا رحل فسيكون في "أجواء أن الشيعي كان في خدمة الأمريكي"!، مما قد يعرضهم للإنتقام السني وقتلهم باعتبارهم عملاء للإحتلال!. ويضيف الطفيلي: "من يتحمل المسؤولية، أليست السياسة الإيرانية! وكذلك في الخليج وكذلك في الحجاز وكذلك في لبنان وكذلك في أي مكان، في إيران شريحة شيعيَة واسعة يمكن أن تحمي نفسها!، لكن نحن - يقصد بقية الشيعة - في أصقاع الدنيا ليس كذلك!. ولا يعني هذا أنه يجب علينا أن نمتنع عن العمل مع الأمريكان خوفا على أنفسنا، لا الأمريكان أعداء الأمة أعداء الإسلام، يجب على كل مسلم لأي فئة إنتمى أن يدافع عن دينه وعن أمته وعن بلده، يجب علينا أن نقاتل وبضراوة وبكل قوة الغزو الأمريكي لعالمنا الإسلامي! .أنا أقول بصراحة إيران تمسك بأكثر خيوط العمل السياسي العراقي الشيعي!، على إيران إذا كانت لا تستطيع أن تساعد العراقيين في الجهاد وتحرير بلادهم ألا تمنعهم

(41) هو عالم دين شيعي، وأول أمين عام لحزب الله.

عن هذا الفعل! وألا تحول دون ذلك! وأنا أستنكر شديد الإستنكار دعوة بعض المسئولين الإيرانيين الأمريكان للتعاون في العراق!، وأعتبر هذا ضربا من ضروب العدوان على أمة المسلمين هذا أولا!. على القيادات في النجف وفي غير النجف - أقول وبصراحة - مشروع التعاون مع الأمريكان يا حالمين سيفشل وسيتبرأ كل منكم من دوره القذر الذي لطخ به جبينه في التعامل مع الأمريكان!. من الآن اعلموا أن طريق المقاومة هو الطريق الباقي!، والمقاومون هم الباقون في العراق!. وعليه استدركوا والتحقوا بركب الجهاد والمجاهدين وقاتلوا الأمريكيين!. وأنا متأكد وأنا أضمن لكم أيها العراقيون أن العراق يُحرر من الأمريكيين خلال سنوات قليلة جدا أقصر مما تظنون!".

وما ينطبق على إيران ينطبق على حركة أمل أيضا في الحرب الأهلية اللبنانية!، يقول إيهود باراك -رئيس الإستخبارات العسكرية اليهودية سابقا- : إنه على ثقة تامة من أن أمل ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من الوجود في الجنوب والعمل ضد الأهداف الصهيونية!. وفي المقابلة التي أجرتها مجلة "الأسبوع العربي"، في 24/ 10/ 1983م، مع حيدر الدايخ أحد قادة حركة أمل في الجنوب، يثني على الكيان الصهيوني فيقول: ".. كنا نحمل السلاح قبل دخول إسرائيل إلى الجنوب، ومع ذلك فإنها فتحت لنا يدها وأحبت أن تساعدنا، فقامت باقتلاع الإرهاب الفلسطيني من الجنوب وغيره، ولن نستطيع أن نرد لها الجميل ولن نطلب منها أي شيء لكي لا نكون عبئاً عليها!" .ويقول تامير برشد - ضابط المخابرات في وحدة الإتصال مع لبنان في الفترة من 1990-1992م: "إن العلاقات بين إسرائيل والسكان الشيعة غير مشروطة بوجود المنطقة الأمنية، ولذلك فقد قامت إسرائيل في الماضي برعاية العناصر المعتدلة في الطائفة الشيعية وقلصت تأثير العناصر المتطرفة وخلقت نوعا من التفاهم مع حركة أمل، والتي تمثل الطائفة الشيعية في واقع الأمر، ويجب أن نعمل بجميع الوسائل الممكنة من أجل تأييد حركة أمل ودعم القوى التي تقع عبر المنطقة الأمنية وذلك بالتنسيق مع الشيعة داخل المنطقة الأمنية، ويجب فعل ذلك حتى لو

كان حليفنا المخلص الجنرال أنطون لحد لا يرغب في ذلك، لأن مثل هذا النشاط يمس مكانته أو يضر بها. ونحن نتحمل مسئولية كبيرة تجاه أنفسنا ومستقبلنا! .كما ويرى ديفيد ساترفيلد - السفير الأمريكي في بيروت- في 3/ 12/ 1998م، بعد زيارة له لمدن صور وصيدا والنبطية بجنوب لبنان: إن بلاده تميز بين المقاومة وبين الإرهاب!، وهي لا تعتبر المقاومة اللبنانية في الجنوب إرهاباً! .حزب الله الذي يؤكد حسن نصر الله، أمينه العام، بأنه "حركة مقاومة نشأت كرد فعل لبناني على الإحتلال الصهيوني"!، ويقول نائبه نعيم قاسم: "معارضتنا لإسرائيل هي جوهر إيماننا وهذا ما لن يتغير مطلقا"!، ليس بعيدا عن العلاقة مع اليهود!، لأنه كما أسلفنا يتبع لإيران ولا يستطيع الخروج عن رؤيتها. وهي تمثل له المرجع الديني والدعم السياسي والسند المادي والمالي!. لهذا نفهم مقولة البروفيسور "إيال زيسر": إن هناك وضعا ما يكون فيه مع حزب الله المفتاح إلى إحلال السلام والهدوء في منطقة الشرق الأوسط!. ومقولة بنيامين بن أليعازر - وزير الدفاع السابق -: إن حزب الله قد أصبح العامل الإستراتيجي في الشرق الأوسط!. ولتطمين الكيان الصهيوني وتسويق حزب الله دوليا أجرى الحزب تعديلا على صياغة شعاره على علم التنظيم من (الثورة الإسلامية في لبنان)، الذي يعكس طبيعة الرؤية الإستراتيجية للتنظيم، إلى (المقاومة الإسلامية في لبنان)!. لذا فـ"في كل الأحوال ستنتهي تلك الحرب بنتيجة يعرفها الصهاينة أولاً قبل حسن نصر الله ورجاله، وهي أن أقصى النتائج التي يمكن تحقيقها هو إضعاف حزب الله، أما مسألة القضاء عليه نهائيًا فهذا لن يحدث. بل ربما يُشكل إضعاف حزب الله إعادة بنائه مرة أخرى بصورة أكثر تنظيمًا بمساعدة إيران وسوريا"!. وهكذا فإن علاقة حزب الله بـ (اليهود) قائمة في الخفاء ومتبرأ منها في العلن!، لأن علاقة كهذه ستفقد إيران وحزب الله سمعتهما في العالمين العربي والإسلامي![42].

(42) وذلك بسبب السياسة الشيعية الجديدة (الإنفتاح الثقافي)، ولاحظ أنها جاءت بعد السياسة الشيوعية البيروسترويكا الإصلاح!!. وكيف أن إيران والشيعة في الدول العربية قد حصلوا على مكاسب بالدبلوماسية لم يستطيعوا الحصول عليها بالثورة والعنف، ثم للأسف بعض ممن يحسبون من أهل السنة الآن يتخذ العنف الوسيلة الوحيدة للعمل؟!

ومن المغالطات الكبرى في حقل السياسة من الشأن العربي أن يقع الصادقون من أبناء الطائفتين السنة والشيعة معا في الإعتقاد بأن مشروع جمهورية إيران الإسلامية أو حزب الله، وقبله حركة أمل، هو مقاومة الإستعمار الغربي الصليبي أو منازلة العدوان الصهيوني! بعد مرور أكثر من ربع قرن على إعلان مثل هذه الشعارات من طهران ومن بيروت!. ويقول في ذلك صبحي الطفيلي وهو يتألم حسرة من تعاون إيران مع الإحتلال الأمريكي: "إن الأمريكي لم يأت للمنطقة لا للديمقراطية ولا لحقوق الإنسان ولا للعدالة ولا للإنصاف ولا لمحاربة إرهاب!، جاء محتلا غازيا مستبيحا آكلا لكل شيء، أنت الإيراني تقول لهذا أن تعالى نتعاون!، ما هو دورك؟ منسق تتوسل بالغازي تعالى أصير في خدمتك، هذا الدور لا يمكن لعاقل أن يقبل به ولا بأي وجه من الوجوه"!. ويضيف - وهو من أبناء الطائفة الشيعية - : "يجب على المسلمين جميعا أن يواجهوا الغزو الأمريكي في العراق وفي خارج العراق، من يستطيع أن يدخل العراق عليه أن يدخل، ومن يستطيع أن يواجه بالكلمة عليه أن يواجه بالكلمة، من يستطيع أن يواجه بالموقف كذلك، هنا حرب تحتاج إلى كل الإمكانيات، تحتاج إلى كل الوظائف عسكرية وأمنية وإعلامية وثقافية، وإلى النهاية، وعلى الجميع من المُعمم في محرابه إلى المقاتل في معركته على الجميع أن يقوم بمهمته لتحرير العالم الإسلامي من الغزو الأمريكي"!. ويذكر الطفيلي الشيعة بموقفهم من الإحتلال الصهيوني من لبنان فيقول: "الشارع الشيعي في العراق، مثل أي شارع آخر، تتحكم فيه عوامل كثيرة قبل أن يتحكم به عقله، القرى والمدن الشيعية في جنوب لبنان إستقبلت الإسرائيلي بالورود والأرز جراء بعض الممارسات التي قامت بها فصائل فلسطينية، لكن هذه القرى نفسها بعد سنتين كانت في طليعة المقاومة!، ولهذا أعتقد أن الوضع في الساحة الشيعية سيتحول بعد أمد غير طويل!، لكن المشكلة في السياسيين، ذلك أن معظم التيارات الدينية السياسية منضوية تحت راية التيار الإيراني المتواطئ مع الأمريكيين. وهو الذي يأمر القيادات السياسية الشيعية بقبول مجلس الحكم وأن تكون أعضاء فيه"!، و"الأمريكي حتى لو عين شيعياً فهذا الشيعي سيكون خادماً له ولا يخدم الإسلام"!.

يذكر شارون في مذكراته[43] صفحة 635 أنه فهم من حبيب (مبعوث الولايات المتحدة الأمريكية لحل أزمة لبنان) أن الولايات المتحدة الأمريكية لديها تصور عن لبنان يرتكز على استخدامه "كوسيلة لحل مشاكل الشرق الأوسط الأخرى"!!، وأنه سوف يستخدم "لبنان لحمل الفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات"!!. ويقول شارون: "أما إسرائيل فلم تضع يوما نصب عينيها هدفا يقوم على إرساء حكم ودي في لبنان، ولكنها تبدي اهتماما بالغا حيال شكل الحكومة التي ستقود مصير البلاد"، وبالتالي سعت لتشكيل تحالفات وإقامة إتصالات مع قوى لبنانية مختلفة، يقول في الصفحة 558: "فإذا كانت إسرائيل قد رأت أنه من مصلحتها مساعدة الأكراد الذين يشنون المعارك على مسافة ألف كيلومتر من حدودنا، والأثيوبيين الذين يتحاربون على بعد ألف وخمسمائة كيلومتر، فإن ضرورة دعم المسيحيين الذين يقاومون منظمة التحرير الفلسطينية المتمركزة أمام بابنا، دفاعا عن أرواحهم (!!) أصبحت حقيقة لا تقبل الشك"، وهو هنا يتحدث عن سياسة الكيان الصهيوني في لبنان عقب وصول حزب الليكود لسدة الحكم عام 1977م. المسيحيون الذين يتحدث عنهم شارون كانوا حلفاء لأمل ضد الفلسطينيين واللبنانيين السنة!. ولكن من خلال تواصله مع المسيحيين فهم شارون أن "هؤلاء الحلفاء لن يكونوا فاعلين في حرب طويلة المدى ضد منظمة التحرير الفلسطينية"، الصفحة 626، لأنهم حسب وصفه "كانوا يكتفون على ما يبدو بالتزام الحياد والإنتظار حتى نتعب ونشقى من أجل مصلحتهم"، الصفحة 626، وعليه غير الكيان الصهيوني تحالفه ليحتضن الشيعة "الذين رفعوا السلاح ضد الجيش الإسرائيلي مكرهين"!!، "فقد رحب العديد منهم بالصهاينة واعتبروهم مخلصين أو على الأقل أعطوا موافقتهم الصامتة على الغزو"!!. ولقد "كتب فؤاد عجمي في ذلك، وهو أفضل من أرخ لهذه الطائفة: بقضائها على القوة الفلسطينية في صيف 1982م تكون إسرائيل قد فعلت للشيعة ما لم يكونوا قادرين على فعله"!!. حتى حزب الله، الذي

---

(43) Ansari, Ali M. *Iran, Islam, and Democracy: The Politics of Managing Change.* London: Chatham House, 2nd ed, 2006, p.374.

خرج منتصرا -كما يقال- عام 2000م، تعاون "مع المسيحيين في الإنتخابات البرلمانية في سبتمبر2000م" ، ووافق على ضم قواته إلى الجناح الأيمن المسيحي بزعامة إيلي حبيقة، الذي تعاون مع القوات الإسرائيلية أثناء غزوها للبنان عام 1982م، وألقيت على عاتقه مسئولية مجازر مخيمات اللاجئين في صبرا وشاتيلا!. وبهذا "يتضح أن حزب الله قد قبل المساومة على مبادئه وأيديولوجيته وتعاون مع شخص ذي علاقات مفضوحة مع إسرائيل" !. إن حزب الله يتلاعب بورقة المقاومة ما بين الدعاية والممارسة. وهنا نقف مع مقابلة أجراها مدير مكتب قناة الجزيرة مع حسن نصر الله سأله فيها : هل من الوارد توسيع دائرة مقاومتكم إلى فلسطين، إلى العراق، إلى غيرهما؟، فأجاب نصر الله بعيدا عن محور السؤال -كعادته: "نحن هنا في لبنان، قاتلنا على الساحة اللبنانية، على الأرض اللبنانية، أعلنا بوضوح أننا ندعم الإنتفاضة في فلسطين والمقاومة في فلسطين، وهذا أمر معلن وواضح، ولنا شرف قبول هذه التهمة من قبل الأمريكيين والإسرائيليين، ومعركتنا الحالية مازالت قائمة مع العدو الصهيوني الذي يحتل أرضنا، ويواجه المنطقة كلها بالتهديد" !. لكن مذيع القناة عاد ليسأل نصر الله: هل أنتم في وارد دعم أي بذور مقاومة في العراق، أم لا؟، فقال نصر الله: "هذا الأمر أولاً يرتبط بإرادة الشعب العراقي، يعني دعنا نرى مقاومة عراقية في الأول، وبعد ذلك نسأل عن القوى الأخرى والشعوب والحكومات والحواضن، من هو حاضن ولديه استعداد أن يدعم وأن يقف، وأن يساند، وما شاكل، وإن كنت أنا طبعاً قلت نحن نحترم خيارات الشعب العراقي، ونعرف أنه عاش ظروفا صعبة خلال 30 عاماً، والآن هو خرج من مرحلة قاسية، وهو الذي بإمكانه أن يحسم خياره ويتخذ قراره، وأنا لا أستطيع أن آخذ قرارا بالنيابة عن الشعب العراقي، وإن كانت سنن التاريخ وطبيعة الأمور تقول: أن الشعوب التي تحتل أرضها مآلها إلى المقاومة"!!. وأضاف: "بكل وضوح العراق تحت الإحتلال، ما حصل في العراق هو إحتلال أمريكي عسكري غير مشروع على الإطلاق، وبكل المعايير والموازين هو غير قانوني وغير شرعي، ويتعاطى معه كاحتلال" !، "بعض العراقيين مازال يصدق بأن الأمريكيين جاءوا فعلاً لإنقاذه ولتحريره، وأنهم

سيرحلون بعد شهر أو ستة أشهر أو سنة. أنا أعتقد أن الوقت والظروف والأطماع الأمريكية، والسياسات الأمريكية، والأخطار الأمريكية، سوف تضع الشعب العراقي أمام حقيقة واضحة أن ما جرى هو احتلال وسيطرة وهيمنة على نفطه وخيراته ومصيره ومستقبله، وستتهاوى أحلام الديمقراطية ووعود الحرية، واحترام إرادة الشعب العراقي، وهذا الشعب سوف يلجأ عاجلاً أم آجلاً إلى خيار المقاومة"!!. ويواصل حديثه: "ما حصل "هو عدوان، في أفغانستان نفس الشيء، نحن لم نكن مع حركة طالبان، نحن لدينا ملاحظات كبيرة جداً على أداء حركة طالبان، وعلى نموذج طالبان، ولكن كنا ضد الحرب الأمريكية على أفغانستان وصنفناها بأنها عدوان، أمريكا لم تأتِ لتحرير الشعب العراقي، أمريكا جاءت لاحتلال العراق والسيطرة على نفط العراق وإعادة رسم خريطة المنطقة تمهيداً للسيطرة على العالم، وبالتالي هنا لا تستطيع أن تكون مؤيداً لهذه الحرب، أو ساكتاً عنها، في الحد الأدنى يجب أن تكون ضد هذه الحرب"!.

في الحقيقة نصر الله يعطي إجابات حمالة ذات أوجه، حتى لا يأخذ عليه العقلاء كلمة تدينه في لبنان، لذا فهو يتحدث عن وضع العراق بالقول: "العراق نموذج يجب أن نتوقف عنده دائما ويجب أن تبقى رسالتنا لشعبنا في العراق الصبر والهدوء والحكمة والتواصل وعدم الوقوع في الفتنة وعدم الرهان على العدو"!، فهل هذه دعوة إلى الجهاد والمقاومة أم لمساندة الإحتلال على أبناء العراق!. إن حسن نصر الله لا يجرؤ على مخالفة المرجعيات الشيعية في العراق ليجيز مقاومة العدو المحتل!، كما أنه حريص على الإشارة إلى "الدولة الحاضنة"! ولا يدرى من يقصد بها دولة "ولاية الفقيه" أم دولة "البعث النصيري"!!. إنه ينبغي ألا ينكر أن حزب الله يقوم بعمليات عسكرية ضد الكيان الصهيوني بين وقت وآخر، لكنها لا تمثل أيديولوجية قتالية ضد اليهود لإخراجهم من فلسطين وإلا كيف يفسر إجتياح الكيان الصهيوني للبنان لتصفية المقاومة الفلسطينية خلال الثمانينات وارتكابها المجازر بحق الفلسطينيين، بينما هي في حالة "حزب الله" ومن قبل حركة أمل! نجدها كدولة ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولي عاجزة عن نزع سلاح حزب الله!، السلاح الذي يعلن

حسن نصر الله، وهو الذي يصور نفسه منتصرا على الكيان الصهيوني نصرا تاريخيا إستراتيجيا، أنه لا توجد قوة في العالم تستطيع نزع سلاح حزب الله!!!، ألا يتناسب هذا مع تصريح وزيرة الخارجية الصهيونية ليفني بأنه لا توجد قوة في هذا العالم تستطيع نزع سلاح حزب الله!!. إذن وماذا كانت تفعل الولايات المتحدة في العراق وفي أفغانستان وفي البوسنة!!، ألم تعمل على نزع أسلحة دول بأكملها! وميليشيات!. ألا يجعلنا هذا الوضع نتساءل عن صدقية مقاومة حزب الله، و"حزب الله بالمناسبة، هو المليشيا المسلحة الوحيدة في العالم المسموح لها بعرض عضلاتها، وتملك أسلحة وصواريخ وعلاقات دولية، وموازنة تقدر بمائتي مليون دولار، وكل مؤهلات الدولة، في حين غير مسموح لوجود مثل هذه المليشيات في أية دولة على سطح كوكبنا، وحين تتهم أية مقاومة سنية أو مقاوم سني بشبهة يتم على الفور قتله أو توجيه صواريخ كروز إلى موقعه كما حصل في بغداد وخوست الأفغانية والخرطوم وغيرها". ألم يقل حسن نصر الله: "إن وجود هذا السلاح هو نتيجة لسبب! إذا زال السبب زالت النتيجة!، ونحن لا ننوي الإحتفاظ بهذا السلاح إلى الأبد"!، فما هو السبب الفعلي وراء امتلاك حزب الله للسلاح وقد رضي بعد المواجهة الأخيرة بالقرار رقم 1701 الذي يطالب "بنشر قوات لبنانية في الجنوب بالتزامن مع الإنسحاب الصهيوني، وبالتعاون مع قوات الأمم المتحدة المؤقتة (اليونيفيل) التي سيرتفع عددها إلى 15 ألفا"!![44] ويدعو كلا من "الكيان الصهيوني ولبنان إلى دعم وقف دائم لإطلاق النار وحل بعيد المدى"!. إن بقاء سلاح حزب الله وتزايد عدد قوات الأمم المتحدة في أرض الشام، في حين تتحدث تقارير إعلامية وصحفية واستخباراتية عن تنام كبير لشعبية الجهاد والمقاومة في أرض العراق والشام، مع ما أكدته التقارير الأخيرة من العراق والتي تفيد بأن أغلب المجاهدين العرب في العراق هم من سوريا والبعض من لبنان!، كل ذلك يضع علامة إستفهام عن الدور المستجد لسلاح حزب الله في ظل استحقاقات النصر الداخلية!.

---

(44) إيان بلاك- بني موريس،الحروب السرية للإستخبارات الإسرائيلية، ترجمة: إلياس فرحات، بيروت: دار الحرف العربي، 2009م، ص338.

وعليه نخلص مما سبق أن التحالف الإيراني الصهيوأمريكي حقيقة لا مراء فيها، تؤكدها الحقائق الواقعية، وأنها تأتي في نسق العداء العقدي مع جمهور الأمة من السنة والعرب، ومن ثمَّ فهي امتداد طبيعي للتاريخ التآمري للشيعة مما يذكره المؤرخون وأهل العلم. ويغذي التوجه نحو هذا التحالف (المعتقد الديني) الذي يرى في اليهود والنصارى كفارا أصليين وفي المسلمين السنة كفارا مرتدون، و(التعصب الطائفي) الذي ربى عليه عموم الشيعة وقامت دولهم على أساسه، و(الإنتماء القومي) لحضارة مغايرة للحضارة الإسلامية العربية، و(المصالح السياسية) التي تريد إيران اقتناصها في زمن الهجوم على المكون (السني) للأمة من قبل اليهود والنصارى، فإيران تعمل بالمبدأ: "ليس في السياسة أعداء دائمون، أو أصدقاء دائمون، إنما مصالح دائمة فحسب"!. وهكذا يلتقي الديني بالطائفي والقومي والسياسي في رؤية ووعي ومواقف مرجعيات الشيعة الإثنى عشرية بقيادة إيران تجاه المسلمين السنة والعرب عموما!. وهذا التحالف مع الولايات المتحدة والكيان الصهيوني يأخذ أبعاده السياسية والدينية والإقتصادية والعسكرية المشتركة، فمن حيث السياسة يلتقي الطرفان في إسقاط بعض الأنظمة السنية أو إضعافها، وتغيير خارطة المنطقة. ودينيا تريد الولايات المتحدة القضاء على الإرهاب (السني) ولا مانع لديها من مساندة المذهب (الشيعي) الثائر كذبا!، إلا على الحكومات السنية والعربية. واقتصاديا يرغب كل من الطرفين الوصول إلى ثروات العراق والخليج. وعسكريا إضعاف الدول الإسلامية والعربية عموما لصالح أمن الكيان الصهيوني وتأمين مصالح الغرب!. ومن نتائج هذا التحالف ما شوهد في أفغانستان والعراق ولبنان واليمن. والدور قادم على دول أخرى. وفي هذا الأمر يقول مؤلف كتاب (الغزو الفارسي للعالم العربي) عبد الله السعيد -عام 1404هـ- عن الحرب الإيرانية العراقية: "العالم كله يتحرك ويتوسط، إلا أن إيران ترفض إلى أن تُفتَحَ العراقَ ليصعد الشيعة فيها إلى سدة الحكم، وليقيموا المشانق لنحو 65% من شعب العراق السني. ويا له من يوم كيوم القيامة يوم تفتح يأجوج ومأجوج على السنة في العراق والخليج، ولا أحد- إلا الله - يعلم كم من

ملايين السنة سوف تباد في ذلك اليوم المنحوس"[45].

فتاريخيا تشير كثير من المصادر - يهودية وغير يهودية - إلى أن إيران، أو بلاد فارس كما كانت تعرف في القديم، تحتل حيزا هاما في التاريخ اليهودي، ويرجع هذا الأمر إلى قدم الوجود اليهودي في إيران - كما تزعم المصادر اليهودية - إلى جانب ذلك فاليهود الإيرانيون يعتزون بصنيع الملك "كوروش الكبير" معهم، حيث سمح لهم بالعودة إلى القدس عام 538م بعد سبيهم على يد "نبوخذ نصر" البابلي في أعقاب تدمير الهيكل قبل ذلك بنحو بضعة عقود من الزمن، على حد قول المخطوطات اليهودية[46].

وبتخطي عدة قرون تشير الإحصائيات الرسمية الإيرانية إلى أن تعداد اليهود في إيران بلغ 75 ألف يهودي في أواخر العهد البهلوي[47]، وقد تناقص هذا العدد إلى قرابة الخمس في السنوات الأخيرة، نظرا لتحول البعض إلى ديانات أخرى، وهجرة البعض الآخر إلى إسرائيل. ومع ذلك يعتبر اليهود في إيران أكبر تجمع يهودي في الشرق الأوسط خارج إسرائيل[48]. وعن هذه الهجرة يقول مؤلف كتاب "اليهود في إيران" : "إن هذه الهجرة جاءت في سياق هجرة عامة ليهود بلاد الشرق الإسلامي إلى فلسطين"[49]. أما مسألة التحول للإسلام والديانات الأخرى، فقد مر اليهود في هذا الجانب بعدة محطات، ومن هذه المحطات مرحلة الفتح الإسلامي حيث تمتع اليهود في هذه المرحلة بالحرية التامة في اختيار معتقدهم وممارسة شعائرهم، فلم يجبر اليهود على الدخول في الإسلام ومن دخل منهم دخل طواعية، وهو الأمر الذي تغير بعد ذلك بعد تمكن الحكم الشيعي

---

(45) عبد الله السعيد، الغزو الفرسي للعالم العربي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتاب العربي الحديث، 2006 ص417.

(46) مأمون كيوان، اليهود في إيران، الطبعة الأولى، بيروت: بيسان للنشر، 2000م، ص17.

(47) كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث، بغداد: طبع الأمانة العامة للشباب، 1985 م، ص183.

(48) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، سكان إيران.

(49) مأمون كيوان، نفس المرجع، ص79.

من إيران متمثلا في الدولة الصفوية، فتم التضييق على اليهود وإجبارهم على اعتناق الإسلام (الشيعي)، ما أدى إلى إخفاء عدد كبير من اليهود معتقدهم والتظاهر بالإسلام خشية الإضطهاد.

فمن المحطات الفرقة في تاريخ يهود إيران مرحلة التخفي، التي بدأت منذ عصر الإضطهاد الشيعي لليهود، بعد قيام الدولة الصفوية، ولم تنته إلا قبيل الثورة الإيرانية بقليل، حيث تحول كثير من اليهود إلى الإسلام ظاهريا مع بقائهم على اليهودية سرا، ومن اليهود من تحول إلى الإسلام لأهداف خاصة، ومنهم من تحول للتمويه على الشيعة ولزيادة الإفساد في معتقدهم. وأطلق على اليهود المتحولين إلى الإسلام - وتحديدا في مدينة مشهد - في القرنين السابع والثامن عشر لهذه الأسباب "المسلمون الجدد"، أو "اليهود المتخفين".

يقول الدكتور المسيري في موسوعة "اليهود واليهودية" موضحا هذه الظاهرة: "(اليهود المتخفون) هم اليهود الذين يتظاهرون باعتناق دين آخر غير اليهودية، بسبب الظروف المختلفة، ويظلون على دينهم في الواقع، ومن أهم فرق اليهود المتخفين (المارانو) ويشار إليهم أيضا باسم (المسيحيين الجدد) و(الكونفرسوس) و(البرتغاليين) في شبه جزيرة أيبريا، كما يشار إليهم باسم (الدونمة) في تركيا، وباسم (المسلمون الجدد) في جزيرة مايوركا"(50).

ويوضح الصورة أكثر أحد كتاب اليهود فيقول في كتاب له بعنوان "قصة اليهود المقسورين عن المشهد: بطولة يهودية": "عاش المقسورين - اليهود المتخفين - من مشهد حياة مزدوجة ظاهريا، تصرفوا كمسلمين تماما، ذهبوا إلى المساجد كل يوم جمعة، لكن استمروا بممارسة العادات والطقوس اليهودية في داخل منازلهم، وفي المساء استقبلوا يوم السبت، اعتادوا قبل الذهاب من أجل الصلاة في المسجد أن يتضرعوا إلى الله

---

(50) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الثاني، مصر: دار الشروق، 1999م، ص179.

طالبين المغفرة من رب إسرائيل. استخدموا وسائل متنوعة لكي يتفادوا إلقاء القبض عليهم"[51].

وكان اليهود المتخفون، أو "المسلمون الجدد" في بادئ الأمر معروفين من قبل الشيعة، وكان الشيعة يتعمدون اجتنابهم شكا منهم في بقائهم على يهوديتهم، ثم سرعان ما تغير الأمر، فمن "المسلمين الجدد" من رحل إلى فلسطين بغير رجعة عائدا إلى يهوديته، ومنهم من ذاب في المجتمع الشيعي حفاظا على وضعه أو مكانته أو ثروته، ومنهم من رأى في التخفي نصرا ليهوديته وخدمة لأرض صهيون.

يقول الدكتور المسيري: "ولا نعرف شيئا عن مصير اليهود الذين اعتنقوا الإسلام عنوة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والظن الغالب، أنه تم استيعابهم في المجتمع الإسلامي، أما جماعة مشهد، فقد احتفظت بهويتها ولم يتزاوج أعضاؤها إلا فيما بينهم، ثم هاجر بعضهم إلى القدس عام 1890 م، أما بقية الجماعة، فقد ظلت في مشهد حتى أواخر الأربعينيات من القرن العشرين وكونت جماعة مستقلة"[52].

بجانب التحول إلى الإسلام قناعة أو تخفيا وتقية، تحول عدد كبير من اليهود إلى البهائية، ويرجع هذا - في الغالب - إلى سعي اليهود وراء إغراءات البهائيين المادية رغبة منهم في تدشين وضع إقتصادي جديد يرتقي بهم وبأحوالهم، ويجعل لهم سلطة وسطوة في القرار السياسي الإيراني، إلى جانب ذلك كان اليهود يظنون أن تحولهم إلى البهائية سيغير النظرة الشيعية لهم، ويجعل لهم من الحصانة ما يحفظ حقوقهم ويصد عنهم تجاوزات الشيعة.

غير أن سببا آخر قلما يشار إليه من قبل الباحثين، نستطيع إضافته إلى هذه الأسباب، وهو سبب ديني بحت، يرتبط من زاوية بالرغبة في مواجهة

(51) ريفكا شيفك، قصة اليهود المقسورين من المشهد: بطولة يهودية، مركز أورشليم - القدس للشؤون العامة، ص11، دون تاريخ النشر.
(52) عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص199.

رجال الدين الشيعة، ومن زاوية أخرى مثل هذا التحول دعما قويا للدولة اليهودية "إسرائيل"، وقد ظهر هذا الأمر بشكل واضح من خلال دعم البهائيين لإسرائيل لاحقا.

وصنيع البهائية مع اليهود جاء من باب رد الجميل، حيث ساهم اليهود بشكل كبير - كما تطرقنا إليه سابقا - في نشأة هذه الملة ودعمها بكافة السبل وشرعنة وجودها، وهو الأمر الذي أشار إليه اليهودي غولد زيهر في كتابه "العقيدة والشريعة"، حيث قال إنه قد: "بلغ الأمر ببعض اليهود المتحمسين للبهائية أن استخلصوا من دفائن العهد القديم وتنبؤات أسفاره ما ينبئ بظهور بهاء الله وعباس وزعموا أن كل آية تشيد بمجد يهوه أنها تعني ظهر مخلص للعالم في شخص بهاء الله، ثم يقول: "و هذا فضلا عن أنهم - أي اليهود - لم ينسوا أن يستخرجوا مما يحتويه سفر دانيال من الرؤى ما ينبئ بقيام الحركة التي أوجدها الباب، وأن يلتمسوا بتأويلها ما يدل على وقت حدوثها"[53].

وردا للجميل الذي قام به اليهود في مراحل النشأة والتأسيس لهذه الملة، شوهدت نصوصا بهائية كثيرة تخدم فكرة الصهيونية، ومن ذلك دعوة البهاء لليهود في كتابه الأقدس للذهاب إلى إسرائيل، يقول في كتابه: "هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم، وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذي به سجرت البحور، قل: تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور، والروح ينادي من في الملكوت هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور، هذا يوم فيه أسرع كرم الله شوقا للقائه، وصاح الصهيون: قد أتى الوعد وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب"[54].

---

(53) جولد زيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، دار الكتب الحديثة، ص270، دون بلد وتاريخ النشر.

(54) خالد السيوطي، البهائية وعلاقتها بالصهيونية وقيام دولة إسرائيل، الطبعة الأولى، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 2004، ص50.

الفصل الثاني

الصهيونية العالمية وأثرها على الإتجاهات القومية للقوة الإيرانية

حين نريد أن نبحث عن الغاية الكبرى وراء القيم والفعل اليهودي على إيران. فإنه ينبغي أن نكون سائرين على منهج علمي، لا أثر فيه للإنفعال، وإن كان الإنفعال هنا مشروعاً ولا مجال فيه لسيطرة الغيرة، وإن كانت الغيرة حتماً مقضياً. نريد أن نلتزم الخط العلمي هنا حتى لا يقال: إن الوسائل عاطفية إلى نتائج ظنية لا يمكن التسليم بمقتضاها. والخط العلمي يقتضي بعد الملاحظة العامة فرض الفروض، وامتحان الفرض بكل طريق ممكن لإثبات صحته أو خطئه[1].

وقد افترضنا سابقا لتعليل ظهور تهويد القيم الإيرانية المجسدة في: "البهائية" عدة افتراضات لم يثبت أمام التمحيص والإختبار سوى فرض واحد هو الذي سنعرضه الآن ونرجو أن يظل هذا التفسير الذي افترضناه فرضاً أمام المتتبع للموضوع حتى يثبت أمامه بالدليل أن هذا التفسير الوحيد والعلمي لظهور البهائية. وخلاصة هذا الفرض هو أن البهائية ليست سوى مجموعة من العرائس الصماء التي اجتمعت على المسرح بعد أن تجمعت خيوطها في يد خفية تعبر عن مجموعة من الملاحدة أو اللاهويين الذين يريدون تخريب العالم، ويتطلعون إلى اليوم الذي لا يكون على الكوكب

(1) لا يقال إن تلك ظواهر إجتماعية فكيف نطبق عليها المناهج العلمية الصارمة لأن الله قد خلق للظاهرة الإجتماعية قوانين، وتوصل العلماء إلى المناهج العلمية الصحيحة لدراسة الظاهرة الإجتماعية، وهي لا تختلف إلا في بعض الإجراءات عن العلوم.

الأرضي فيه سواهم. وهذا التشبيه دال أبلغ الدلالة على هذا التفسير الذي افترضناه، وليس فيه من قصور سوى أنه يمد بسبب محس بين البهائية واليد المحركة متمثلاً في الخيوط التي هي وسيلة الحركة، ونقول: إن في هذا السبب الممتد بين الدمى واليد الخفية قصوراً في مثالنا التشبيهي، وذلك أن الحركة الخفية في واقع أمرها لا تربط نفسها بسبب مباشر مع الدمى الصماء على المسرح، إذ أن مثل هذا الربط الظاهر قد يؤدي في حالة معينة إلى كشف المساتير وإزالة الحجب، إذا حاول بعض الناس أن يتتبعوا الخط من الدمى المرئية إلى الأيادي الخفية التي تحركها، فاعتاض من هم وراء الستار عن هذا السبب المباشر بطريقة أخرى يكون السبب فيها متعدد المفاصل كثير الوسائط، بحيث يمكن في لحظة معينة نجزئ هذا السبب ونصله، فلا يستطيع أحد الوصول إليهم، وهم يحرصون غاية الحرص أن لا يتعرف أحد من أفراد الدمى عليهم، كما أنهم يحرصون غاية الحرص أن يبعدوا عنهم كل جزء من أجزاء السبب المفصلي، بحيث لا يتعرف عليهم إلا الجزء الملاصق لهم، ينبغي أن لا يعرف أكثر من اللازم، فإذا اقتضت الظروف اطلاعه على أكثر مما ينبغي لتنفيذ عملية معينة، فإنه بمقتضى منطقهم يجب أن يموت هذا الجزء بعد أن ينهي مهمته ليموت السر معه، وليس هناك من تعليل وراء عمليات الإزاحة تلك سوى أنه أصبح يعلم أكثر من اللازم. وهكذا تصبح الدمى وأجزاء السبب المفصلي مجموعة من الحيوانات (الغوييم) أو مجموعة من العميان كما هو معروف في مصطلحات الماسونية العالمية[2].

وقبل أن نحاول اختبار هذا الفرس، وامتحانه وحشد الأدلة الدالة عليه يجب أن نتوقف قليلاً ونحن نعطي صورة اليهودية، وما يصاحبها من بعض المصطلحات التي خفيت على الكثيرين في الفترة الأخيرة من التاريخ، والتي واكبت ظهور البهائية بالذات. فلقد لاحظ المؤرخون في تاريخنا الحديث ظهور مجموعة من المصطلحات يستعملها اليهود، ويحاولون فرضها على

(2) ولمزيد من التفاصيل في هذا الجانب راجع كتاب: وليم غاي كار، أحجارعلى رقعة الشطرنج، ترجمة: وليد نايف، القاهرة: مكتبة الشروق، 2004م.

الناس فرضاً ليفهموها على نحو ما يفهمها زعماء اليهود أنفسهم. وهذه الكلمات التي يرددها اليهود بعضها معروف لدى العلماء منذ أزمنة بعيدة، وبعضها مستحدث لم يكن له وجود قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومن بين المصطلحات المستعملة (اليهودية).

وجميع الخلائق يعرفون أن هذه الكلمة (يهودية) تعبر عن ديانة نبيها هو موسى عليه السلام، وكتابها المقدس الذي نزل عليه هو التوراة. ومن يوم أن نزلت هذه الديانة على موسى وإلى فترة متأخرة نسبياً لم تكن هذه الكلمة تحمل في طياتها معنى سياسياً، أو مدلولات عرقية أو عصبية تحمل أتباعها على القول بأنهم سلالة عرق ممتازة. اليهودية إذن ديانة يدخل فيها من أي عرق من يشاء الدخول فيها، وينتمي إليها من أي سلالة من يريد الإنتماء إليها. وقد أثبت التاريخ أن هذا ما كان بالفعل، ولكن هذا اللفظ قد تغير مفهومه فيما بعد ليدل على شيء لم يكن يدل عليه، ويحمل بين طياته معاني غريبة عنه كل الغرابة. ومن المصطلحات التي نجدها عند اليهود مصطلح (الصهيونية). هذا المصطلح له نوعان من الدلالة يمكن أن نطلق على أحدهما:

(أ) الصهيونية الدينية.

كما يمكن أن نطلق على الثاني:

(ب) الصهيونية السياسية.

والصهيونية الدينية قد ظهرت لتعبر عن لون من الميول الديني إلى أرض كانت مهبط الوحي على موسى عليه السلام، وقد ظهر هذا الميول بعد أن وقع بين اليهود وبين غيرهم من دول الغرب مجموعة من المشاكل الإجتماعية والدينية كان اليهود أو بالأحرى زعماؤهم السبب في إثارتها وإيجادها. وهذه الصهيونية الدينية بمفهومها الذي فهمناه لم تكن تحمل في طياتها معنى سياسياً خاصاً، فلم يكن لليهود مطمع في أن يخرجوا أقواماً غير يهود من أراضيهم الشرعية ليحلوا محلهم بسلطان القهر والإقتدار، أو بسلطان الحيلة والمكر والتدبير، ولم يكن هذا وارداً ولا نظيره، أو على الأقل لم يكن ظاهراً على السطح بادياً للعيان.

فلما كان النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي كانت الساحة قد شهدت يهودياً بالإدعاء لا يدرى بالحقيقة، لا يؤمن بالأديان ولا ينضوي تحت لواء واحد منها، هو تيودور هرتزل (1860-1904) الذي دعا إلى تحويل مصطلح الصهيونية من مدلوله الديني إلى مدلول آخر سياسي، إنه يرغب إلى طرد سكان مهبط الوحي عندهم وإجلائهم عن ديارهم الشرعية، وإحلال اليهود محلهم على أن يسلك إلى ذلك وسيلتين في وقت واحد: إحداهما: سبيل الحيلة والتدبير. وثانيتهما: سلطان القوة والإقتدار.

وهذه المعاني التي دعا إليها واعتبرها هي المفهوم الحقيقي للصهيونية هي نفسها التي حولت مفهوم الصهيونية من مفهوم ديني شعوري إلى مفهوم سياسي تخطيطي. وليس كما كان معتقدا أن هذا التحويل كان وليد يوم وليلة، وأنه لم يكن موجوداً قبل مؤتمر (بال) بسويسرا .1897م، بل إن الشكل المنطقي لهذه الفكرة يقول إنها كانت مختمرة في ضمائر الكثيرين للعمل وراء الكواليس بجدية ونشاط، وهذا الكمون كان ينتظر فرصة مناسبة لكي يظهر على السطح. وكان النصف الثاني للقرن التاسع عشر هو أكثر الأزمنة ملاءمة، حيث عملت اليد الخفية على إشعال نار القوميات في أوربا لتفتيتها من جهة، ولخلق مناخ مناسب للإعلان عن خطتهم من جهة أخرى. ولم يشأ زعماء اليهود أن يؤسسوا دولة أساسها القومية كذلك القوميات الموجودة في أوربا برغم أن الدعاة لهذه الدولة أو إنشاء هذا الوطن علمانيون بالدرجة الأولى، لكنهم لم يشاءوا أن يدعوا إلى وطن قومي لليهود على أساس من القومية التي تشابه القوميات في أوربا، لأن مثل هذه الدعوى لا يمكن تبريرها، ولا يستطيعون فلسفتها، إنهم يريدون أن يجمعوا يهوداً من العالم في وطن يغتصبونه، ولا يصح والحالة هذه أن يقيموا دولة على الوطن المغصوب تكون فكرة القومية أساساً لها. على هذا النحو السابق تبلورت فكرة الوطن القومي لليهود، وقد كان الزمن مواتياً للإعلان عن رغبة اليهود في ذلك، فاجتمع اليهود في سويسرا مع أفول القرن التاسع عشر ليتدارسوا حول هذا الموضوع، ويتفقهوا حول الأسس التي ينبغي اتخاذها والقواعد التي يجب إرساؤها. ولقد أصبح واضحاً بعد هذا المؤتمر أن اليهود أرادوا أن ينشئوا وطناً قومياً لهم في فلسطين، ولابد والحالة هذه من

الإتفاق على خطة مزدوجة تضم في وقت واحد الجانب السياسي، والتكتيك العسكري .

وهناك ملاحظة جدير بنا أن نقف عليها قبل إتمام سطور هذا الموضوع، والأمر يتعلق هنا بالكتابة في هذا المجال "الصهيونية" التي كثيرا ما عرضت من كتب ومن يكتب فيها لخطر الموت أو تشويه السمعة وتلطيخ السيرة[3]. في الحقيقة لو تأملنا القضية جيدا لوجدناها تندرج ضمن الخطة اليهودية التي مفادها الإدعاء الشديد بأن السامية مضطهدة في العالم، واليهود الساميون يعانون من وطأة هذا الإضطهاد وظلمه الآثم. وإعلان هذا المبدأ لابد أن يسير على محورين في نفس الوقت: أحدهما يتعلق باليهود. فلابد أن يشعر يهود العالم بأنهم مضطهدون حتى يتمكن زعماء اليهود من جذبهم إلى إسرائيل. وتأكيداً لهذا المعنى فلقد اتخذ حاخامات اليهود قراراتهم وأجمعوا أمرهم على أن يحملوا يهود العالم جميعاً على التميز في أوطانهم بحيث تكون لليهود في جميع أنحاء الدنيا شخصيتهم المستقلة بدعوى الحفاظ على صفاء العرق ونقاء السلالة. ومن المعروف أن مثل هذا التميز في الأوطان يثير الريبة ويستلفت الأنظار. فمن حق زعماء الدول وقادة المجتمعات أن يتساءلوا عن سر هذا التميز وأن يرتابوا فيه. وهذا الإرتياب نفسه يجعلهم يتصرفون تصرفات أمنية في أوطانهم يستغلها زعماء اليهود لإشعار اليهود في تلك الأوطان بأنهم مضطهدون.

كتب (وليم غاي كا)، كمثال لهذا: أن روسيا القيصرية في أواخر القرن الماضي كان فيها يهود محافظون على تميزهم، وادعوا أنهم مضطهدون، فاتخذ القيصر في روسيا قراراً لمعالجة هذا الحال بمقتضاه يجبر اليهود على إدخال أبنائهم في المدارس الحكومية عملاً على إذابتهم في المجتمع والقضاء على تميزهم، في نفس الوقت الذي لم يكن فيه الروس مجبرين على مثل هذا التعليم الإلزامي. وهذا القرار وإن كان يعالج من وجهة نظر القيصر مشكلة إلتفاف اليهود حول أنفسهم إلا أنه أخطأ خطأ

---

(3) جمع رجاء غارودي منذ فترة قصيرة معلومات كثيرة حول هذا الموضوع، ونشرها في كتاب له نقل إلى العربية أسماه "ملف إسرائيل" فهو جدير بالمراجعة.

بالغاً، حيث أتاح لليهود نوعين من التميز في نفس الوقت: التميز العرقي الذي لم يتخل عنه، والتميز الثقافي الذي ساقهم القرار إليه، واستثمره زعماء اليهود أفضل استثمار[4].

وإمعاناً في إشعار اليهود بالإضطهاد في جميع أنحاء العالم حتى يسهل جذبهم إلى فلسطين نجد زعماء اليهود أنفسهم يضحون ببعض اليهود في العالم من غير أن تظهر أمام اليهود أياديهم المتآمرة، فينتشر الرعب في صفوفهم فيهاجرون إلى إسرائيل. تقال تلك الأمثلة مؤكدة في ذلك ما حدث في العراق، فقد ضحى زعماء إسرائيل ببعض اليهود في العراق خفية منهم بواسطة عملائهم ثم قالوا لليهود في العراق، إلى متى ستنتظرون بادروا بالهجرة إلى إسرائيل[5].

وعلى الجانب الآخر تستغل فكرة اضطهاد السامية لتكميم أفواه الكتاب والمفكرين، وإرهاب الساسة والزعماء. إن من يقدر على أن يحلل الفكرة الصهيونية السياسية ويزيح الستار عن جرائم هؤلاء المتآمرين في التاريخ، يرمى بأنه يضطهد السامية، وينال من هؤلاء اليهود ذلك الحمل الوديع الذي تعرض إلى الظلم والإضطهاد عبر التاريخ. وقد استطاع زعماء اليهود أن يستصدروا في أوربا قوانين تحرم التعرض إلى أفعالهم بالدرس والمناقشة، كما تحرم التعرض إلى أقوالهم بغير الرضا والقبول. كتب الأستاذ روجيه جارودي في مقدمة كتابه قال: (نواجه هنا موضوعاً يعد من المحرمات، ألا وهو موضوع الصهيونية ودولة إسرائيل. ففي فرنسا يستطيع المرء أن ينتقد العقيدة الكاثوليكية أو الماركسية وأن يشجب النظم السياسية، في الإتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة أو في جنوب أفريقيا، كما يمكنه أن يمتدح الفوضوية أو الملكية دون أن يعترض لأية مخاطر سوى ما يستطيع ذلك عادة من جدل أو دحض لأفكاره. أما إذا تناول المرء الصهيونية بالدراسة والتحليل فإنه يدخل في مجال آخر وينتقل من الأدب إلى ساحة القضاء. وذلك بموجب القانون الذي صدر بفرنسا في 29 جويلية 1881 والذي كان

(4) وليم غاي كا، أحجار على رقعة الشطرنج، مرجع سابق، ص78

(5) روجيه غارودي، ملف إسرائيل، مرجع سابق، ص639.

يرمي أصلاً وبحق إلى عدم التشهير بأي شخص بسبب انتمائه إلى عرق معين أو أمة ما، أو جنس أو دين. ومن هنا كان أي نقد لدولة إسرائيل أو الصهيونية السياسية التي قامت على أساسها تلك الدولة، مبرراً لأن يساق صاحبه إلى ساحة القضاء. فأي نقد أساسي لدولة إسرائيل - ولا أقصد بهذا ما يؤخذ عليه بسبب فعل معين، إنما أقصد التدليل المنطقي لبنيان دولة أرسيت على مبادئ الصهيونية - يؤدي بصاحبه إلى اتهامه (بالنازية) ويجلب عليه التهديدات بالقتل)[6]. وهذه التوليفة المزدوجة من دعوى اضطهاد السامية برغم انكشافها وتعدية الغرض منها، إلا أنها ما تزال حتى الآن تعمل عليها.

المبحث الأول

الإسلام الإيراني والبدائل الأمريكية الجيودينية في المنطقة

هناك تقليد مشهور في الشرق الأوسط يعود إلى عهد الحرب الباردة، فكل طرف كان يعرف أنه إن قال أي أمر يزعج الروس فإن العقوبة ستكون سريعة وقاسية، ومن جهة أخرى لو قال نفس الطرف الأمر نفسه ضد الأمريكيين فإنه ليس فقط لن يكون هناك عقوبة ولكن ربما حدث العكس، وربما نال بعض الجوائز. حيث إن العملية القلقة لدى الدبلوماسيين ورجال الكونغرس والصحفيين وآخرين تأتي متتالية تقول: ماذا فعلنا للإساءة لك، وما ذا نستطيع أن نفعل لتصحيح ذلك؟، هذان الطلبان هما الأساس للسياسة الخارجية، ولذلك فإن صناع القرار في الدوائر الرسمية يجدون صعوبة للملاءمة مع حركة ودية، وعادة فإن الموقف الأساس: "يجب أن لا نقترب كثيراً من أصدقائنا خوفاً من إزعاج أعدائنا. ولا يعتقد أن هذا شكل مناسب من الدبلوماسية". من هذا المنطلق عمدت الإدارة الأمريكية إلى صرف الكثير من المال نتيجة الإنفعالات لحل أي مشكلة تظهر، وهكذا هو الأمر في ظهور مبادرة شراكة الشرق الأوسط (MRPI) في ديسمبر 2002م. لقد خصص الكونغرس مبلغ تسعة وعشرين مليون دولار لمبادرة الشراكة في

(6) نفس المرجع، ص645.

الشرق الأوسط وأضاف مائة مليون أخرى في عام 2003م بصورة دعم استثنائي طارئ، وقد خصصت عشرة ملايين دولار منها للاهتمام بمشروع تطوير شبكات الإسلام المعتدل وبالإسلاميين. ولمشروع شراكة الشرق الأوسط أربعة أعمدة ثلاثة منها تتعلق بالمساعدات الإقتصادية، فالمفروض في البرامج الإقتصادية أن تتواصل وتقرب المسافات في المعلوماتية أما في المجال السياسي فهدفها أن تقوي "الأصوات الديمقراطية" في الشرق الأوسط كله، وأن تبني إحساساً بالحكم والمحاسبية لنظام الحكم. وهذه شعارات جميلة ولكن نمو معاداة أمريكا في العالم لم يمكن إيقافه بهذه البرامج الدبلوماسية. وفي ذلك قال نائب وزير الدفاع الأمريكي سابقا بول وولفوتز Paul Wolfwitz والسفير السابق لأندونيسيا: "من أجل أن نصف سياسة أمريكا تجاه المسلمين أفضل وصف. فإن الولايات المتحدة لا ترى هذه العلاقة حرباً بين الحضارات بين الغرب والإسلام، ولهذا فإنها حرب كل العالم المتحضر ضد المتطرفين الذين يهاجمون القيم التي يشترك فيها معظم سكان العالم"، وتدرك الولايات المتحدة بأنه ثمة فجوة خطيرة بين الغرب والعالم الإسلامي، ويجب أن تقرب الهوة ويجب أن تبدأ الآن. إن الفجوة عميقة وليس ثمة وقت للتأخير، وسواء كانت الإدراة الأمريكية ناجحة في تضييق هذه الشق الحرج بين الشرق والغرب سيكون عنصراً رئيسياً في تشكيل الصورة. وكان هناك نمو في الإدراك بأن الولايات المتحدة سوف تكسب الحرب على الإرهاب، ولكن الحرب الأكثر صعوبة هي "حرب الأفكار والقيم"، إنها حرب حول التحديث والعلمنة والتعددية الديمقراطية، والنمو الإقتصادي الحقيقي. ولتحقيق نصر في هذا الصراع الأوسط فإن الولايات المتحدة فهمت بأن من الواجب عليها أن "تعمل لتفهم الوجوه المتعددة للعالم الإسلام". ولقد اقتنع كبار أعضاء الإدارة الأمريكية آنذاك بأن الغالبية العظمى في العالم الإسلامي ليس لهم شأن بالمبادئ التي تعرضها مجموعات مثل القاعدة وطالبان، كما قال وولفوتز، وبالعكس تماماً إنهم يعادون الإرهاب ويعادون الإرهابيين ليس فقط الذين يخطفون الطائرات ولكن أيضاً الذين حاولوا اختطاف واحد من أديان العالم العظيمة". ليس لهم علاقة بالذين ينكرون الحقوق الأساسية للنساء أو الذين يسيطرون على

عقول الآلاف بالخرافات والكراهية. إن مثاليات الديمقراطية والحرية كانت هي المحرك الأكثر قوة للتغيير في الخمسين سنة الأخيرة، ويجب أن تعطينا الأمل لمزيد من التطور في العالم الإسلامي". وقال وولفوتز أنه ليس هناك استراتيجية أخرى تحمل أي معنى للولايات المتحدة. هناك ثلاث عناصر للحرب على الإرهاب: الأول إصطياد الإرهابيين وهذا يتضمن قوة القانون وتبادل المعلومات الإستخباراتية والإنقضاض على مصادر التمويل، وتعني أيضاً مواجهة الدول التي تدعم الإرهاب. والعنصر الثاني هو الأمن الداخلي، والعنصر الثالث هو حرب الأفكار. وهي في المقام الأول حرب أهلية داخل العالم الإسلامي بين المعتدلين والمتطرفين. وتدرك الولايات المتحدة أنها ليست عضواً في العالم الإسلامي وتعترف أنه ليس من مسؤولية أمريكا تقديم وجهات نظر حول العقيدة، وفي الوقت نفسه لا يشك أحد أن للولايات المتحدة دوراً مهماً مؤثرا فيما يجري من أمور. فمن الناحية الإستراتيجية عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تأييد الدول التي يقطن فيها مسلمون معتدلون -حسبها - مثل: تركيا، إيران،الأردن والمغرب، حيث كانت هناك تطورات مهمة في الخليج العربي (أو الفارسي كما يحلو للإدارة الأمريكية أن تسميه) حيث تحدث نقاشات جادة حول الإصلاح السياسي. ففي إيران مثلا ترى إدارة واشنطن أن الناس ملوا من نظام الملالي الذي لم يعد له رصيد ويرغبون في التغيير. وبينما لا تستطيع الولايات المتحدة التدخل إلا أنها استطاعت أن تؤيد تطلعات الشعب الإيراني.كل هذا قناعة منها أن هناك تأثير سيكوسياسي في العالم الإسلامي، إذا كانت إيران قلب العالم الإسلامي الحديث أخذت في تغيير مسارها. وإذا عدنا إلى التاريخ سنجد أربعة أمثلة مطابقة للوضعية للدلالة على مضمون معركة القيم والأفكار التي تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها الصهيونية العالمية: المثال الأول هو حادثة أيديولوجية، هي نوع من نفي الشرعية عن الإرهاب شبيهة بالحملة ضد الرق. ففي القرن التاسع عشر أعلنت بريطانيا عدم شرعية الرق بطرق متعددة أولاً بإعلان الحرب على المفهوم وتطور ذلك، تطبيق هذا باستخدام القوة البحرية وكذلك من خلال القوة الناعمة: الإدارات الفكرية والأخلاقية والدبلوماسية، وخلال عقد من الزمن ساعد

البريطانيون في تغيير طريقة تفكير الناس المحترمين تجاه الرق. والمثال الثاني هو هزيمة الماركسية اللينينية، وهذه أيديولوجية ظنها البعض موجة المستقبل حيث ولدت حماسة كبيرة وحركت الناس بقوة ولكنها سقطت عندما فشلت في تقديم الفردوس الذي وعدت به. لقد تهاوت عندما وصلت الجرائم التي ارتكبت باسمها إلى حجم ناقض المبادئ التي دعت إليها، ولأنها أيضاً واجهت مقاومة قوية واثقة بنفسها. والمثال الثالث هو صراع الحرب الباردة حول المؤسسات، فقد أجاد الشيوعيون في الإستيلاء عليها ولكن الغرب كان لديه الطاقة لرد الهجوم، فقد ساند نقابات العمال الحرة والإعلام الحر والمجموعات الفكرية الحرة التي منعت الشيوعيين من الإستيلاء عليها. وهذا النوع من الصراع يعد نموذجا آخر للأسلوب الذي من خلاله أقبلت إدارة البيت الأبيض لمساعدة المؤسسات والهيئات. أما الجبهة الرابعة التي تهدف إليها الولايات المتحدة هي الإصلاح السياسي والإقتصادي والتعليمي، وكانت تهدف مبادرة الولايات المتحدة إلى جمع أكثر من بليون تقدمها الولايات المتحدة مساعدات للدول الإسلامية الصديقة سنوياً. وقد اقترح الرئيس الأمريكي الحالي باراك أوباما مبادرة التجارة الحرة للأسباب نفسها. هذا من منطق أمريكي مفاده أن العالم يواجه مسؤولية كبرى في مساعدة أصدقائها الذين يؤيدون الملايين الذين يعادون التطرف والذين هم في الواقع ضحايا التطرف. فالتاريخ بالنسبة لأمريكا يقف بجانب الحرية والتسامح والتحديث والديموقراطية ويتطلب الشجاعة والإصرار والقوة من الجميعا.

وقد ركزت الإدارة الأمريكية على أواسط آسيا كأفضل منطقة لبدء معركة الأفكار في هذا الصراع على الوجود وبالذات على إيران.. إن الإصلاح الديمقراطي والإقتصادي بالنسبة لها أمور أساسية لاستقرار طويل الأمد، حيث أن الناس الذين ليس لديهم فرصة للمشاركة في الحياة المدنية أو الحق في ممارسة دينهم علنا وبحرية في بلادهم سيتجهون إلى السرية. فبينما تسبب الإضطهاد في استمرار تلك الحركات الباطنية والسرية، فعلى الإدارة الأمريكية أن تغلق النافذة على أكثر هذه الأنظمة وحشية، حتى تتحرر الأفكار والقيم. ولهذا كانت الرؤية الأمريكية حول هذا الشأن تتمثل في: أولا، ضرورة إعادة تعريف دول وسط آسيا وإيران على وجه الخصوص

بثقافاتها وتفسيراتها التقليدية الإسلامية بدلا من الأيديولوجيات المستوردة، كون الإدارة الأمريكية كانت تعلم جيدا أنه ليس بإمكانها أن تدرب الأئمة المحليين والتي هي نقطة البدء المهمة بالنسبة لها، ولكن بالمحافظة على المزارات الدينية والمخطوطات وتقديم مساحة سياسية للمؤسسات الدينية الخاصة للقيام بالمهمة. الأمر الذي خدم إيران من خلال إحيائها لقضايا الهوية والحرية الدينية في المنطقة من خلال التشيع والشيعة الذين يمثلون في العالم العربي وفي كل بلد مسلم على أقليتهم خلايا نائمة تنتظر الإشارة للإنقضاض على حكومات نما فيها الضعف والعجز والهوان: فهذه البحرين التي يمثل فيها الشيعة أكثر من 50% من مجمل السكان، مازالت تعاني من مؤامرات الشيعة والإيرانيين الرامين إلى الإطاحة بحكومة ذلك البلد وتسليمه لإيران، وتشير التقارير بأن الآلاف من البحارنة الشيعة تلقوا تدريبات عسكرية سواء في العراق أو جنوب لبنان ليكونوا جاهزين للمرحلة القادمة. فهم يعتقدون بأن مهمتهم قد أنجزت في العراق وهي تنتظر دورها في البحرين وبلاد أخرى، أما هذا البلد (البحرين) فصار يصنف في قائمة الدول الأولى لا من ناحية الصناعة أو التطور العلمي والتقني وإنما في قائمة أكثر الدول التي تحوي بيوتا للدعارة (جاء ذلك بعد إعطاء البحرين المركز الثامن عالميا ضمن عشرة مدن أطلق عليها مدن الخطايا). أما الإسلاميون هناك فهم بين مطرقة ولاءهم لدينهم وسندان إنخراطهم في العملية السياسية التي إجتذبتهم من غير طائل فلا هم تصدوا للهجمة الرافضية ولا هم غيروا نظاما علمانيا يحكم بغير ما أنزل الله حسب معتقدهم .

أما السعودية فالمنطقة الشرقية منها تقف على بركان رافضي مدعوم من إيران والعراق والغرب الصهيوصليبي، وهم كذلك ينتظرون الإشارة، والأحداث الأخيرة من مظاهرات ومطالبات بالإنفصال باتت ليست خافية على أحد، فتارة يسمون دولتهم بدولة القطيف والإحساء وأخرى بدولة الشرق العربية، ويضعون لها خرائط وكأن الأمر بات في حكم المنتهي. ولن يبقى حينها للملكة سوى أن تنتظر أن ترفرف أعلام الرافضة التي تقطر دما فوق مكة كما فعلها القرامطة من قبل!!.

وأما الكويت فهي ليست أفضل حالا من باقي دول الخليج، فالشيعة على قلتهم يهيمنون على التجارة والأعمال والكثير من المناصب الأمنية والحساسة بل حتى الوزارات، وهم يحظون بالتقريب من قبل السلطة، وجاءت حادثة تأبين عماد مغنية لتزيل اللثام عن دور الشيعة في الكويت وعمالتهم لإيران وأتباعها، فلم يبال هؤلاء بما فعله من قتل وتدمير وصل إلى محاولة تفجير طائرة أمير الكويت السابق، فقاموا بإقامة العزاء له وتأبينه وإظهار الحزن عليه، ثم قامت الحكومة الكويتية بحبسهم لأيام ومن ثم إكرامهم فيما بعد ليتبوأوا المناصب العليا في الدولة !.

وفي اليمن بلغ الحوثيون المدعومون من قبل إيران وحكومة التشيع في العراق وجهات أخرى من القوة بمكان ليهددوا إستقرار البلاد وأمنه.

وهذا (حزب الله) الشيعي الذي يلقى هو الآخر رعاية خليجية فإنه يحتل بيروت ويقتل أهلها ويهدد الحكومة بالسقوط ومع ذلك فإنه ليس إرهابيا، بل إن له وزراء ونواب يتبوأون أعلى المناصب في الحكومة. وكذلك ما يسمى بجيش المهدي وقرينه فيلق بدر الذين ارتكبوا المجازر الفظيعة بحق اهالي كثيرة في العراق، فإن لهم حاليا وزراء في الحكومة العراقية إضافة إلى أعضاء في البرلمان المزعوم، وهم مدعومون أيضا وعلى الأخص من قبل دولة خليجية يقال أن بعض القائمبن عليها اكتشفوا متأخرين حجم الخطأ القاتل الذي إرتكبوه بدعمهم لاحتلال العراق بعد أن رأوا الرافضة والإيرانيين عند حدودهم يطرقون عليهم أبوابهم. ولقد كشفت أحداث العراق عن حقائق غاية في الأهمية تشير إلى مدى خطورة ما وصل إليه المد الإيراني الشيعي المدعوم من طرف الصهيونية العالمية بين من يسمون بالمثقفين أو (المفكرين) العرب إضافة إلى بعض المحسوبين على التيارات الإسلامية، فمن كان بالأمس يسير في ركاب ما يسمى حركة القوميين العرب نجدهم اليوم يدافعون عن الدولة الفارسية في إيران في تناقض عجيب، دعاة للعروبة بالأمس ودعاة للفارسية الصفوية اليوم!!!، لا يجد غضاضة في تبني فكر عصبي شعوبي آخر مادام هناك من يدفع أكثر، بالأمس كانت بغداد قبلتهم واليوم أضحت طهران قبلتهم الجديدة، إذا

تكلموا لا تفرق بينهم وبين أي رافضي آخر مع ما يدعونه من إنتماء للإسلام ولمنهج أهل السنّة والجماعة بالتحديد وهو حال كل من: فهمي هويدي، العوا، الترابي، والكثير من رموز الإخوان المسلمين في مصر وغيرهم كثير...، إذا تكلموا نطقوا بالتشيع وإذا تحركوا شمت منهم رائحة التشيع، أسماؤهم عمر وأبو بكر وعثمان وقلوبهم بن سبأ والعلقمي والسيستاني، أبرزهم الإعلام المأجور ليكونوا (مفكرين) يفكرون بالنيابة عن الأمة. فكان لهؤلاء دور شبيه بالطابور الخامس إبان الحروب العالمية.

ولو استعرضنا مواقف الإخوان ولا سيما من الشيعة لوجدنا تساهلا شديدا في التعامل مع هذه الفئة، وكما أن الشيعة وجدوا في الصوفية مدخلا سهلا إلى العالم الإسلامي لينشروا أفكارهم الضالة (وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا)، فكذلك الإخوان أضحوا جسرا للشيعة في أي مكان يتواجدون فيه، والأمثلة كثيرة نختار منها التالي: موقفهم من الشيعة في العراق، تحالف وتآلف وتواطؤ مع الغرب في احتلال هذا البلد المسلم. في مصر معقل الإخوان تتوالى تصريحاتهم في الدفاع عن إيران وأذنابها واعتبار الخلاف مع الشيعة خلاف في الفروع لا في الأصول. وفي لبنان موقف الجماعة الإسلامية برئاسة الإخواني فتحي يكن المؤيد لما يسمى بحزب الله (علما بأن هذه الجماعة قد إنشقت على نفسها لخلافات حول هذا الموضوع وغيره). وفي السودان حيث وجد الرافضة موطأ قدم لهم عن طريق الترابي ومن يسير في ركابه إضافة إلى الصوفية التي يعج بها هذا البلد المسلم. وكذا الحال في مجمل الدول التي يتواجد فيها الإخوان فإننا نرى وبوضوح حالة التقارب التي تجمعهم بالرافضة وبإيران، ومما لاشك فيه أن هذا النوع من العلاقة الودية فكريا ومنهجيا بل ووجدانيا بين الإخوان والشيعة يمهد الكثير لتنفيذ المخطط الرامي إلى تشييع العالم الإسلامي، ولن يحيد الإخوان يوما عن علاقتهم بالشيعة لأنها بنيت على أساس عقدي وفكري، مكامن الفروقات بينهم طفيفة تقع تحت طائلة الإختلاف المذهبي الفقهي ليس إلا. وهذا الأمر يعد خطيرا وخطيرا جدا لما يمثله التيار الإخواني من تواجد على الساحة المحلية والسياسية في العالم الإسلامي، ومالم يعيد الإخوان النظر في فكرهم ومنهجهم المبني في الكثير منه على أطر سياسية بحتة بعيدة عن

الشرع، فإن الإخوان سيظلون المنفذ السهل لتسلل إيران من خلال التشيع إلى العالم الإسلامي. علما أن الإخوان كتيار مر في الكثير من المنعطفات التاريخية التي أدت إلى تغيره تغيرا كبيرا عن دعوة الأوائل من مؤسسي هذا الحزب، فالإخوان اليوم أصبحوا واجهات (شرعية) للكثير من الحكومات العلمانية في المنطقة من خلال برلمانات ومجالس شكلية تتحاكم إلى دساتير وضعية، وهكذا فإن الإخوان باتوا أقرب إلى العلمانية منهم إلى الإسلام وصاروا أداة بيد الحكومات لضرب غيرهم من التيارات الإسلامية من جهة، ولإضفاء طابع الشرعية على تلك الحكومات من جهة أخرى.

إلى جانب ذلك نجد مخططا آخر يضاهي المخطط السابق خطورة، والأمر يتعلق **بمخطط تحويل الصوفية إلى التشيع**، حيث لا يعد هذا المخطط حديثا إذا علمنا أن الصوفية كانت وما زالت إحدى أهم وسائل الغرب في محاربة الإسلام، إلا أن الجديد في الأمر هو استهدافهم من قبل الشيعة ضمن المخطط آنف الذكر، وسبب استهداف الشيعة للصوفية نابع جملة من ثلاثة أمور:

الأول: أن الصوفية والغالية منها على الأخص تتسم بالجهل والإبتعاد عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي تعج بالبدع والخرافات بل أن الغالية منها تقع في كثير من الشركيات ليلتقوا مع الرافضة بعقيدة عبادة القبور والإستغاثة بالأموات.

الثاني: هو معاداة الصوفية للمنهج السلفي الذي يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة.

الثالث: هو أن الصوفية يشددون حول زعم الإنتساب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

ولو أمعنا النظر في الأسباب المذكورة أعلاه لوجدناها موجودة لدى الشيعة كذلك، ومن هنا جاء اهتمام الشيعة بالصوفية. ولا يجد الشيعة صعوبة في إقناع الصوفية بأفكارهم لأنهم في بادئ الأمر يتسترون بالتقية فيظهروا لهم تمويها حبهم للصحابة ولمشايخ الصوفية وسادتهم، ويدخلون عليهم من باب حب آل البيت الذي يتصف به كل أهل السنة، فالشيعة بما درجوا عليه

لا يظهرون عقائدهم وأفكارهم إلا لبني جلدتهم أما مع مخالفيهم فهم يتسترون بالتقية فيخفون أشياء ويظهرون أخرى تماشيا مع خُلق الكذب والتقية الذي إعتادوا عليه. ومثال على ما ذكرناه ما يجري في مصر من محاولات التشييع التي يقوم بها بعض من عملاء إيران، فلقد أسس المدعو محمد الدريني ما يسمى بالمجلس الأعلى لرعاية أهل البيت ليكون رئيسا له وليدير ما يسمى جريدة صوت أهل البيت الأسبوعية لينشر دعوته بين المصريين باسم أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين. وما لوحظ على هذا الرجل أنه حاول تطبيق الخطة التي أشرنا إليها في استدراج الصوفية إلى منهج وعقيدة الروافض، حيث أنه يطلق على الصوفية هناك وبمغالطة مقصودة تسمية (السادة الأشراف) مدعيا إنتسابهم إلى آل البيت كي يمهد الطريق لتشييعهم. ومثال على تلك الفرق الصوفية التي أضحت وعاء للتشيع ومنبرا للدعوة إليه هي ما تسمى بالطريقة العزمية في مصر التي تدعو علانية إلى التشيع وتصدر منشورات تدافع بها عن هذا الفكر المنحرف، حتى أضحت الصوفية والتشيع وجهان لعملة واحدة. وهي الفكرة التي دعمتها وأطرتها مؤسسة راند(7): فقد قام باحثون في فرع المؤسسة بدولة قطر بكتابة مشروع الإسلام والديموقراطية وهو ما عرف لاحقا باسم "تقرير" راند، ويعتبر فرع "راند" في المنطقة العربية مركزا مهما للمساهمة في إعادة تشكيل المنطقة وفق الرؤية التي تطرحها الإدارة الأمريكية .ولقد صدرت تقارير عديدة من هذه المؤسسة آخرها عام 2007. وسنختار بعضا من البنود

---

(7) هي أكبر مركز فكري في العالم، وهو مركز أمريكي مقره الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية. تقوم مؤسسة "راند" الذي أشتق أسمها من إختصار كلمتي: Reserch & Devlopment (أي البحث والتطوير) بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ومن ثم تحليلها وإعداد التقارير والأبحاث التي تركز على قضايا الأمن القومي الامريكي في الداخل والخارج. يعمل في المؤسسة ما يقارب 1600 باحث وموظف يحمل غالبيتهم شهادات أكاديمية عالية، وميزانيتها السنوية تتراوح بين 100-150 مليون دولار أمريكي. تعتبر مؤسسة "راند" أحد المؤسسات الفكرية المؤثرة بشكل كبير على المؤسسة الحاكمة في أمريكا، وهي تدعم توجهات التيار المتشدد في وزارة الدفاع وتتولى الوزارة دعم كثير من مشروعاتها وتمويلها. كما ترتبط بعلاقات ومشروعات بحثية مع وكالات المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالي، وتصب كثير من الدراسات والبحوث الصادرة عن هذه المؤسسة في خانة أنصار مواجهة الإسلام والمسلمين.

المهمة التي وردت في هذه التقارير، والتي منها: الإعتدال على الطريقة الأمريكية، هو السلاح الجديد الذي سوف يشهر في وجه العالم الإسلامي، وقد حدد التقرير مواصفات المسلم المعتدل بالتالي: يرى عدم وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، يؤمن بحرية المرأة في اختيار "الرفيق" وليس الزوج، بعيدا عن التقاليد والأعراف، يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة، يدعم التيارات الليبرالية والعلمانية، يؤمن بتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: "التيار الديني التقليدي"، و"التيار الديني الشيعي" المعاديين لما يطرحه "التيار السلفي الوهابي" المعادي للغرب. وفيما يتعلق بالتقليديين يقول تقرير "راند": يجب عدم إتاحة أي فرصة لهم للتحالف مع الأصوليين ويجب دعمهم وتثقيفهم، ليشككوا في مبادىء الأصوليين وليصلوا إلى مستواهم في الحجة والمجادلة، وفي هذا الإطار يجب تشجيع الإتجاهات الصوفية ومن ثم الشيعية (يقول ابن خلدون: **لولا التشيع لما كان التصوف**)، ويجب دعم ونشر الفتاوى (الحنفية) لتقف في مقابل (الحنبلية) التي ترتكز عليها (الوهابية) وأفكار القاعدة وغيرها مع التشديد على دعم الفئة المنفتحة من هؤلاء.

ثم تقول التقارير بوضوح إن التيار المعتدل (في التعريف الأمريكي) هم من: يزورون الأضرحة والمتصوفون والرافضون للإحتكام للشريعة، والمؤمنون بحرية المرأة في اختيار "الرفيق وليس الزوج"، وحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة. ويروج التقرير لتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: "التيار الديني التقليدي"، أي تيار رجل الشارع الذي يصلي بصورة عادية وليست له اهتمامات أخرى، و"التيار الديني الشيعي"، يصفه التقرير بأنه التيار الذي يقبل الصلاة في القبور وبشرط أن يعارض كلاً منها ما يطرحه "التيار الوهابي".

كما تحذر التقارير مما تعتبره "خطورة دور المسجد"، بإعتبار أنه الساحة الوحيدة للمعارضة على أسس الشريعة، ولذلك يدعو لدعم "الدعاة الذين يعملون من خارج المسجد". كما وأكدت التقارير، أن هناك حاجة للتركيز على "أطراف" العالم الإسلامي في آسيا وأوروبا وتجاهل "المركز" (يقصد به المنطقة العربية)، بغرض دعم ما يسمونه "الإعتدال في أطراف

العالم الإسلامي"، خصوصا في آسيا وأوروبا وغيرها، وذلك بهدف أن تخرج الأفكار الإسلامية المؤثرة على مجمل العالم الإسلامي من هذه الأطراف وليس من المركز الذي أصبح ينتشر فيه "التطرف"، وبحيث تصبح هذه الأطراف هي المصدرة للفكر الإسلامي المعتدل الجديد وفق المعايير الأمريكية.

كما تؤكد على أن على الولايات المتحدة أن تنحاز إلى الشيعة الذين يشكلون 15% من مسلمي العالم لتشكيل حاجز أمام الحركات الإسلامية المتطرفة، وقد يخلق أساساً لموقف أمريكي مستقر في الشرق الأوسط. وأوصت في ذلك الدراسة بضرورة الإهتمام بالمسلمين غير العرب، لأن مركز الجاذبية سينتقل إلى القطاعات غير العربية، لأن الفكر المنتشر في تلك المناطق أكثر ابتكاراً وتطوراً حول الإسلام، وتجهيزهم لمواجهة التفسيرات الإسلامية الأكثر تطرفاً.

ويخلص تقرير عام 2007 إلى بناء "شبكة مسلمة معتدلة" للتصدي للتيارات الإسلامية التي تعتبرها أمريكا متطرفة وهذا هو عنوان التقرير، "بناء شبكات مسلمة معتدلة" - building moderate muslim networks. ولايحتاج ما احتوته تقارير راند إلى كثير تعليق فالأمر بيّن وواضح كل الوضوح فكل ما يقال في هذه التقارير لا يخرج عن الحرب المعلنة على الإسلام والعالم الإسلامي، حربٌ على الإسلام الحق من جهة ودعم للإسلام المزيف والمشوه من جهة أخرى، وفيما يتعلق بهذا الأمر فإن التقارير تشير ومن غير أدنى غموض إلى دعم الشيعة والصوفية في مواجهة ما سمته التيار الأصولي السلفي الوهابي، وتستوقفنا هنا مغالطة مفادها أن الشيعة يشكلون 15 % من مسلمي العالم وهذه طريقة إعتادها صناع السياسة الغربية من مروجي المغالطات المكشوفة ولا سيما بعد أحداث العراق، يوم أن أشاعوا بأن الشيعة هم الأغلبية لغاية هي الأخرى معروفة، فهم يريدون بمثل هذه الإحصائيات تعظيم دور الشيعة في العالم كي يبرروا دعمهم لهم بحجة المطالبة بحقوقهم بإعتبارهم واقعا لايمكن تجاوزه وهم بهذا العدد زعموا هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم بإبرازهم للشيعة وتسليط الضوء على

دورهم المتنامي من خلال الإكثار من أعدادهم تزييفا ومغالطة فإنهم يشاركون بنشر هذا الفكر الدسيس بين المسلمين واالعامة منهم خاصة. وبنظرة واحدة إلى عدد الشيعة في العالم ندرك مقدار المغالطة التي تحاول من خلالها مؤسسة راند ترسيخها لدى الآخرين، فالشيعة يتركز وجودهم في إيران، إضافة إلى بعض الأقليات هنا وهناك سواء في العراق أو أفغانستان أو باكستان أو ما يشكلونه من عدد قليل في بعض بلدان الخليج، ليمثلوا بعد ذلك كله نسبة ضئيلة جدا لا تتجاوز في أحسن الأحوال (5 %) من عالم إسلامي سني يزيد عددهم على المليار نسمة. لكن في هذه الخطة تمت المراهنة على الجسر الإخواني الذي من خلاله يتم إختراق المنطقة العربية إيرانيا.

المبحث الثاني
الإخوان المسلمون والتمهيد للإنتشار الإيراني في المنطقة

تعود جذور العلاقة الإيرانية الإخوانية إلى بدايات تأسيس التنظيم الإخواني، حيث كان لحسن البنا الدور البارز في المذهب التقريبي مع الشيعة، وكان يُروِّجُ له تحت شعار الوحدة الإسلاميَّة ومحاربة الطغيان والإستبداد، ونصرة القضية الفلسطينيَّة وطرد المستعمر. يقول محمود عبد الحليم عضو اللجنة التأسيسية للإخوان المسلمين: "كانت هذه الطائفة (يعني الشيعة) على كثرتها تعيش في عزلة تامة عن طائفة أهل السنة كأنهما من دينين مختلفين، مع أن هذه الطائفة تضم أقوامًا من أكرم العناصر المسلمة ذات التاريخ المجيد والغيرة على الإسلام والذود عن حياضه". إلى أن قال: "رأى حسن البنا أنَّ الوقت قد حان لتوجيه الدعوة إلى طائفة الشيعة، فمد يده إليهم أن هلموا إلينا". ثُمَّ قال: "ولو كانت الظروف قد أمهلت حسن البنا لتم مزج هذه الطائفة بالطوائف السنية مزجًا عاد على البلاد الإسلامية بأعظم الخيرات"[8]. وتعود جذور فكرة التقارب التي دعا إليها حسن البنَّا

(8) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ، الجزء الثاني، القاهرة: دار حوران، 2003م، ص357.

إلى حركة جمال الدين الأفغاني الذي عُد رائد دعوة التقريب، وقد كان شيعيًّا إيرانيًّا يتفنَّن في تغيير زيِّه ولقبه بحسب الظروف والأمكنة. يقول جمعة أمين عبد العزيز أحد مفكري الإخوان المسلمين: "لقد تنبَّه المصلحون من المسلمين إلى الأضرار التي تتعرض لها الأمة الإسلامية بسبب هذا الإنقسام، فراحوا ينادون بوحدة الصف الإسلامي ونبذ أسباب الفرقة بين أبناء الدين الواحد، وقد تزعم هذه الدعوة في بدايتها الإمام جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده، ثم أخذت الدعوة شكلا جماعيًّا بعد ذلك فنشأت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي شارك فيها الإمام البنا"(9). ويقول مصطفى محمد الطحان: "لقد نشأ الإمام الشهيد حسن البنا في وقت ضعف فيه التيار الإصلاحي، فدرس عوامل ضعفه، واستفاد من نواحي قوته، فأخذ أسلوب جمال الدين الأفغاني في العمل السياسي، وأسلوب محمد عبده في الإهتمام بالتربية"(10). ويقول هادي خسروشاهي رئيس مركز البحوث الإسلامية ومستشار وزير الخارجية الإيرانية: "كان نشاط حسن البنا ونهضته في المبادئ ومفاهيمها المطروحة في الواقع مكمّلاً للتيار الإسلامي السابق له، والذي كان قد بدأه السيد جمال الدين الحسيني المعروف بالأفغاني في أواخر القرن التاسع عشر"(11).

لم يكن المقصود من فكرة التقارب هذه التي دعا إليها حسن البنا تأسّيًا بجمال الدين الأفغاني هو فتح قنوات حوار بقصد بيان الحقّ والرُّضوخ له وترك الغلوّ والتَّطرُّف والباطل بأنواعه، وإنما كان المقصود سياسيًّا صِرفًا. ومما يؤكّد هذه الحقيقة أنَّ الثورة الإيرانيَّة كانت ملامحها واضحةً من أوَّل أيَّامها، فقد أضفت على الدستور بعد أن تهيَّأ لها البلاد مذهبًا طائفيًّا ذلك الذي كان يتنافى مع مزاعمها في الوحدة الإسلامية تنافيًا صارخًا، وقد

---

(9) جمعة أمين عبد العزيز، عليك بالفقه واحذر من الشرك، دمشق: دار الفكر، 1999م، ص187.

(10) محمد مهدي عاكف، الإمام حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين، بيروت: دار الحقيقة، 2005م، ص65.

(11) هادي خسروشاهي، نظرة إلى التراث الفكري والإجتماعي للشيخ حسن البنا المؤسس والمرشد للإخوان المسلمين، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002م، ص18.

اعترف يوسف ندا مفوض العلاقات الدولية للإخوان بذلك، ووصف هذا الإفراز والطابع الطَّائفي بأنَّه غلطة أثَّرت في مسيرة الوحدة الإسلاميَّة، ومع هذا الإعتراف فقد استمرت العلاقات الإخوانية الإيرانيّة بقوة وفاعلية. ولذلك فمما لوحظ في هذه الأعوام الأخيرة بيانات من بعض قادة التنظيم تحدّد العلاقة مع إيران بأنها علاقة سياسيَّة صِرفة، وتُقرِّر بأنَّ العلاقة المذهبية بين الطَّرفين أمر مسكوت عنه. يقول محمود غزلان عضو مكتب الإرشاد بتنيظم الإخوان: "أما موقفنا من إيران وما يصدر عنها فينبغي أن نفرِّق بين أمرين: (المواقف السياسية)، و(المذهب الشيعي): فالمواقف السياسية ينبغي أن نقيسها على قيم الحرية والحق والعدل. أما موقفنا من المذهب الشيعي فنحن نميل إلى عدم التعرض له بالقدح أو المدح"[12]. بل إنَّ محمد مهدي عاكف المرشد العام السابق قال بصريح العبارة: "إيران دولة شيعية، والشيعة ليست مذهبًا دينيًا، بل سياسي، ومن ثم نتعامل معها على أنها دولة سياسية لا مذهبية"[13].

فعلاقة الإخوان بإيران ليست إلاّ علاقة تحالفيَّة سياسية لُفَّت بستار الوحدة الإسلامية ونصرة القضية الفلسطينيَّة، وإلاّ فلم تكن هذه الدعاوى إلاّ شعارات لتحقيق المصالح والوصول إلى الأهداف. يقول محمود غزلان: "إيران ومنذ قيام الثورة الشعبية 1979م التي أثمرت قيام الجمهورية الإسلامية وهي تتطلع للعب دور في المنطقة، بدأ بفكرة تصدير الثورة"[14]. فقد كان من مصلحة إيران وهي دولة ذات مذهب شيعي طائفي دعم أحزاب المعارضة السنية لتوسيع نفوذها داخل وخارج منطقة الخليج العربي وتعزيز دورها ومكانتها والإستفادة من تأثير تلك الأحزاب في المجتمعات السنية. والإخوان المسلمون كانوا بدورهم بحاجة إلى إيران كقوة يستندون إليها، وبالخصوص مع وجود مساحة ثورية مشتركة بين الطرفين.

نتج عن دعوة حسن البنا إلى التقريب قدوم بعض كبار الشيعة من إيران

(12) محمود غزلان، مرة أخرى نحن والشيعة، لندن: دار السامي، 2004م، ص222.
(13) نفس المرجع، ص237.
(14) نفس المرجع، ص246.

للجلوس معه ومد الجسور، ومن هؤلاء: محمد تقي قمي. يقول محمود عبد الحليم: "قدم إلى مصر شيخٌ من كبار مشايخهم في إيران، هو الشيخ محمد تقي قمي، والتقى بحسن البنا، وحَسُنَ التفاهم بينهما، وثمرةٌ لهذا التفاهم أنشئت في القاهرة دار تَرمُز إلى هذه المعاني السامية إسمها: (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية)"[15]. ويقول عمر التلمساني المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين: "ولقد استضاف (أي: حسن البنا) لهذا الغرض فضيلة الشيخ محمد القمي أحد كبار علماء الشيعة وزعمائهم في المركز العام فترة ليست بالقصيرة"[16]. ونقل جمعة أمين عن محمد تقي قمي هذا قوله: "وبعد فلعل أكثر الناس لا يعرفون أن الأستاذ حسن البنا هو صاحب الفكرة الأولى في تأليف جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية"[17].

ومن الشخصيَّات الإيرانية التي التقت بحسن البنا أيضًا: المرجع الشيعي الكاشاني. يقول التلمساني: "ولم تفتر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة فاتصلوا بآية الله الكاشاني"[18]. وقال هادي خسروشاهي: "والنقطة الأخرى في هذا الجانب هي لقاء الشيخ حسن البنا مع آية الله كاشاني في زيارة الحج هذه، وبعد إجرائهما الحوار قررا عقد مؤتمر إسلامي في طهران تشارك فيه شخصيات من العالم الإسلامي كي تتم فيه تقوية العلاقات الودية بين المسلمين أكثر فأكثر"[19]. وبدعوة من الإخوان المسلمين قام بزيارة مصر نواب صفوي مؤسس الحركة الشيعية الثورية (فدائيان إسلام) المناوئة لحكم الشاه آنذاك. يقول سالم البهنساوي أحد مفكري الإخوان المسلمين: "منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي، والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة، وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة 1954

---

(15) محمود عبد الحليم، مرجع سابق، ص357.

(16) عمر التلمساني، حسن البنا الملهم الموهوب، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1999م، ص78.

(17) جمعة أمين عبد العزيز، مرجع سابق، ص56.

(18) عمر التلمساني، شيعة وسنة، مجلة الدعوة، العدد 105، لسنة 1985 م، ص23.

(19) هادي خسرو شاهي، مرجع سابق، ص146.

للقاهرة"، ثم قال: "ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تُؤدي إلى هذا التعاون"[20]. وقد قوبل نواب صفوي بحماس شديد وترحيب حار من قبل الإخوان المسلمين الذين أرادوا توطيد علاقتهم بهذه الحركة الشيعية الإيرانية المنهاضة للشاه في تلك الفترة. يقول عباس السيسي أحد قيادي الإخوان المسلمين: "وصل إلى القاهرة في زيارة لجماعة الإخوان المسلمون الزعيم الإسلامي نواب صفوي زعيم فدائيان إسلام بإيران، وقد احتفل بمقدمه الإخوان أعظم احتفال، وقام بإلقاء حديث الثلاثاء، فحلق بالإخوان في سماء الدعوة الإسلامية وطاف بهم مع الملأ الأعلى، وكان يردد معهم شعار الإخوان: الله أكبر"[21]. ومع تعصب نواب صفوي لمذهبه وحماسه الشديد لحركته الثورية ذلك الذي جره إلى أعمال عنف عديدة من تصفيات واغتيالات، فقد كان ذا صيت لامع عند الإخوان المسلمين وكانوا يُضفون عليه هالات المديح والثناء، فقد كان في نظرهم شابا سياسيا ثوريا يريد الوقوف أمام الظلم والإستبداد، وهذه هي المساحة المشتركة بين الطرفين، وكان الإخوان ينطلقون في تدعيم هذه المساحة المشتركة وتأييد صفوي وثورته من قاعدتهم: (نتعاون فيما اتفقنا عليه)، وحينئذ فما وراء هذه المساحة المشتركة من أعمال عنف وتطرف وطائفية تصدر من صفوي فيمكن أن يتعامل معه الإخوان وفقًا للجزء الثّاني من قاعدتهم: (ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)!. إلى جانب محمد حامد أبو النصر المرشد الرابع للإخوان المسلمين الذي كان يصف نواب صفوي بالزعيم الإيراني المسلم الشهيد[22]. ويقول عنه فتحي يكن أحد زعماء الإخوان المسلمين في لبنان: "شاب متوقد إيمانًا وحماسةً واندفاعًا، بلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا، درس في النجف في العراق، ثم رجع إلى إيران ليقود حركة الجهاد

(20) سالم البهنساوي، السنة المفترى عليها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص57.

(21) عباس السيسي، في قافلة الإخوان المسلمين، الجزء الثاني، بيروت: دار الطليعة، 2002م، ص159.

(22) محمد حامد أبو النصر، حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2000م، ص98.

ضد الخيانة والإستعمار، أسس في إيران حركة (فدائيان إسلام) التي تؤمن بأن القوة والإعداد في سبيل تطهير الأرض المسلمة من الصهيونيين والمستعمرين"[23]. لقد كانت علاقة نواب صفوي بالإخون المسلمين علاقة قوية وطيدة، ذلك الذي جعل راشد الغنوشي يصف منظمة (فدائيان إسلام) بأنها امتداد للإخوان المسلمين[24]. وجعل صفوي نفسه يقول بالمقابل في زيارة له إلى سوريا أمام حشد من السنة والشيعة: "من أراد أن يكون جعفريا حقيقيا فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين"[25]. وقد نعاه الإخوان المسلمون بعد أن أُعدم بسبب محاولة اغتيال رئيس الوزراء الإيراني آنذاك. فقد جاء في مجلة (المسلمون) تحت عنوان (مع نواب صفوي): "والشهيد العزيز - نضر الله ذكره - وثيق الصِّلة بالإخوان المسلمين، وقد نزل ضيفًا في دارها بالقاهرة أيام زيارته مصر، في كانون الثاني سنة 1954"[26].

وفي عملية بحث الإخوان المسلمين عن حلفاء سياسيين ثوريين كان الخميني هذه المرة هدفهم، وقد كان منفيا آنذاك في فرنسا، فبدأ الإخوان المسلمون في دعمه وتأييده والإحتفاء بدعوته الثورية. فقد ذكر يوسف ندا مفوِّض العلاقات الدولية في تنظيم الإخوان المسلمين بأنَّ الإخوان المسلمين كونوا وفدا التقى بالخميني في باريس قبل ذهابه إلى إيران، وأنَّ التنظيم كان على علاقة بأعضاء من مجموعات الخميني قبل الثورة الإيرانية، وكانت تتم بينهم لقاءات في أمريكا وأوروبا. يقول يوسف ندا: "عندما جاء الخميني إلى باريس ذهب الوفد وقابله هناك، ليشجِّعه ويدعمه". وعندما قامت الثورة في إيران كان الوفد الإخواني ثالث طائرة تهبط في مطار طهران بعد طائرة

---

(23) فتحي يكن، الموسوعة الحركية، الجزء الأول، بيروت: دار الطليعة للنشر، 2002م، ص163.

(24) راشد الغنوشي، مقالات حركة الإتجاه الإسلامي، الكويت: منشورات ذات السلاسل، 2003م، ص428.

(25) عباس خامه يار، إيران والإخوان المسلمون، بغداد: دار الشئون الثقافية العامة، 2006م، ص225.

(26) التحرير، مع نواب صفوي، مجلة (المسلمون)، المجلد الخامس، العدد الأول، 1956 م، ص73.

الخميني وطائرة أخرى، على حسب شهادة أدلى بها يوسف ندا. وقد كان تأييد الإخوان المسلمين للثورة الإيرانية تأييدا صارخا وفوريا. يقول التلمساني: "وحين قام الخميني بالثورة أيدناه ووقفنا بجانبه." وقال القيادي الإخواني عصام العريان لجريدة الشرق الأوسط: "إنَّ جماعة الإخوان المسلمين أيدت الثورة الإسلامية في إيران منذ اندلاعها عام 1979 لأنها قامت ضد نظام حكم الشاه رضا بهلوي الذي كان منحازًا للعدو الصهيوني". وقال عبد الله النفيسي: "فور حدوث الثورة الإيرانية بادرت أمانة سر التنظيم الدولي للإخوان المسلمين بالإتصال بالمسؤولين الإيرانيين بغية تشكيل وفد من الإخوان لزيارة إيران والتهنئة بالثورة وتدارس سبل التعاون"[27]. وقد كان تأثير الثورة الإيرانية كبيرًا على رموز الإخوان. فقد قال راشد الغنوشي: "إنه بنجاح الثورة في إيران يبدأ الإسلام دورة حضارية جديدة". وكتب الغنوشي في مجلة (المعرفة) الناطقة باسم حركة الإتجاه الإسلامي والتي تُعرَف الآن بحركة النهضة مقالاً بعنوان (الرسول ينتخب إيران للقيادة) جاء فيه: "إن إيران اليوم بقيادة آية الله الخميني القائد العظيم والمسلم المقدام هي المنتدبة لحمل راية الإسلام". وقال الغنوشي أيضًا: "إنَّ مصطلح الحركة الإسلامية ينطبق على ثلاثة إتجاهات كبرى: الإخوان المسلمين، الجماعة الإسلامية بباكستان (والتي أسسها أبو الأعلى المودودي والتي كانت على شاكلة منهج الإخوان المسلمين)، وحركة الإمام الخميني في إيران"[28]. وقال فتحي يكن: "تنحصر المدارس التي تتلقى منها الصحوة الإسلامية عقيدتها وعلمها ومفاهيمها في ثلاث مدارس: مدرسة حسن البنا، ومدرسة سيد قطب، ومدرسة الإمام الخميني"[29]. وقال القرضاوي: "ومن ثمرات هذه الصحوة ودلائلها الحية: قيام ثورتين إسلاميتين أقامت كلٌّ منها دولةً للإسلام تتبناه منهجا ورسالة في شئون الحياة كلها: عقائد وعبادات،

---

(27) عبد الله النفيسي، الحركة الإسلامية، رؤية مستقبلية، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999 م، ص248.

(28) عباس السيسي، مرجع سابق، ص80.

(29) فتحي يكن، المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1997م، ص67.

وأخلاقا وآدابا، وتشريعا ومعاملات، وفكرا وثقافة، في حياة الفرد، وحياة الأسرة، وحياة المجتمع، وعلاقات الأمة بالأمم، أما الثورة الأولى: فهي الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام آية الله الخميني سنة 1979م... وكان لها إيحاؤها وتأثيرها على الصحوة الإسلامية في العالم، وانبعاث الأمل فيها بالنصر، الذي كان الكثيرون يعتبرونه من المستحيلات"[30]. من هنا لم يكن مستغربًا حينما عدد خامنئي المرشد الحالي في إيران في خطبته إبان الثورة المصرية بعض المشاهير في مصر وختمهم بقوله: "والشيخ حسن البنا". وقد كان خامنئي قد ترجم كتابين لسيد قطب إلى اللغة الفارسية وذلك قبل الثورة الإيرانية عام 1979. يقول علي أكبر ولايتي الأمين العام للمجمع العالمي للصحوة الإسلامية ومستشار خامنئي في ذلك: "طبعا كان لإيران ومصر أثرا متبادلا، فكما كان للسيد جمال الدين دور في نشوء الصحوة الإسلامية في مصر وبروز شخصيات من قبيل المرحوم الشيخ محمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي ورشيد رضا، فكذلك ترك الإخوان المسلمون في وقتهم أثرا على الحركات الإسلامية في إيران". وقال أيضًا: "إن سماحة قائد الثورة قام قبل الثورة بترجمة عدد من كتب سيد قطب إلى الفارسية، وبعد الثورة أيضا تمت ترجمة كتاب ولاية الفقيه للإمام الخميني إلى العربية، حيث ترك أثرًا هاما في الصحوة الإسلامية بالعالم العربي وخاصة مصر". وقد عزا ولايتي الأهمية الثقافية لمصر بالنسبة للمنطقة إلى وجود الأزهر وما وصفه بالماضي العريق للإخوان المسلمين وقال: "منذ تأسيس الإخوان المسلمين من قبل حسن البنا عام 1928، كان موقع مصر الثقافي ودورها في الحضارة الإسلامية تتطلب أن تتبوأ مصر هذه المكانة في العالم العربي".

لقد تبنّى الإخوان المسلمون العديد من المواقف المؤيدة لإيران وللشيعة عمومًا، فقد كانت لهم تصريحات في الحرب العراقية الإيرانية، وتصريحات في المواجهات التي تمت بين المملكة العربية السعودية والحوثيين، وتصريحات بخصوص خلية حزب الله التي تم اكتشافها في

---

(30) يوسف القرضاوي، أمتنا بين قرنين، بيروت: دار النقاش للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م، ص112.

مصر، وغير ذلك من المواقف. وقد اعترف يوسف ندا بأن علاقتهم مع دول الخليج كانت متوترة وكانوا متهَمين بالعمالة بسبب مواقفهم المماثلة لإيران. ولقد أظهرت مجلة (الأمان) التي يترأسها إبراهيم المصري من قُدامى مؤسسي الإخوان المسلمين في لبنان مساحةً كبيرةً من التحالف الإخواني الإيراني، وهي وإن كانت أحيانًا تحاول مسك العصا من المنتصف فهي في أحيان أخرى لا تتورع عن أن تورد تصريحات الإيرانيين بأن الجزر الإماراتية جزء لا يتجزأ من الأراضي الإيرانية، كما في خبر بعنوان (رفض إيراني لبيان الدوحة حول الجزر). وتورد مقالات أخرى تُظهر فيها إيران على أنها القوة الجبارة في الخليج وتستصغر في الوقت نفسه من شأن دول الخليج، كما في مقال بعنوان (إيران تستعرض قوّتها في الخليج الخائف والنظام العربي موزّع الولاء)، ومقال آخر بعنوان (إغلاق مضيق هرمز.. هل يكون بداية لحرب شاملة). وتورد بين الفينة والأخرى مقالات تهوّن فيها من الإعتداءات الإيرانية، ففي مقال بعنوان (إيران والبحرين: فقاعة سياسيّة أم خطوة مرتجلة؟) على خلفية تصريحات ناطق نوري قرر فيه صاحب هذا المقال أن عروبة البحرين ليس لها بعذ تاريخي أو قانوني دولي، وأن القضية سياسية فقط. وقال صاحب المقال أيضا: "لا شك أن الأسلوب الإستعراضي الذي اتبعته دول عربية عديدة في تأكيد وقوفها إلى جانب البحرين ورفضها للتصريحات الإيرانية، يندرج تحت عنوان الإستفادة من فرصة ذهبية في نظر بعض المسؤولين للمضيّ قدمًا في التهويل من الخطر الإيراني على المنطقة". وقال أيضا: "وفي الوقت الذي لا تنقطع فيه جهود تصوير الخطر الإيراني هو الخطر الأكبر على البلدان العربية، لا سيما الخليجية، بديلاً من الخطر الصهيوني". وعندما سئل محمد مهدي عاكف المرشد السابق للإخوان المسلمين في حوار معه في جريدة النهار الكويتية: ألا تعتقد أن البرنامج النووي الإيراني يؤثر على أمن الخليج؟، وإن كان يؤثر فلماذا يقام؟، وهل ترحب بالمد الشيعي في المنطقة؟. فقال مهدي عاكف: "هذا البرنامج من حقهم، حتى ولوكان قنبلة نووية فهذا حقهم". وقال أيضًا: "وفيما يخص المد الشيعي أرى أنه لامانع في ذلك، فعندنا 56 دولة في منظمة المؤتمر الاسلامي سنية، فلماذا التخوف من إيران وهي الدولة الوحيدة في العالم

الشيعية". وقد سألت جريدة (الشرق الأوسط) بعد هذه التصريحات مهدي عاكف عما إذا كانت إجابته قد حُرِّفت أو فُهمت خطأ فقال: "لا، الإجابة صحيحة، وبلا تحريف. وعليه، فإذا كان الإخوان المسلمون كتنظيم سياسي يحرصون على علاقاتهم مع إيران بجامع المصالح السياسية والثورية المشتركة، فإنهم في الوقت نفسه يحاولون أن يكيِّفوا هذه العلاقة ويهيِّئوا لها البيئة التي تناسب مصالحهم أو مصالح الطرفين، وخاصة بعد توتر علاقاتهم مع بعض الدول العربية كضريبة لممالأتهم لإيران. ومن هنا كان لابد من تكوين بيئات سرية وإنشاء علاقات وراء الأستار. ولا أدلَّ على ذلك من اعتراف يوسف ندا بأنه عندما توترت العلاقات بين الإخوان المسلمين ودول الخليج تم تغيير البيئة الإخوانية الإيرانية فورًا، حيث قال ندا: "فانتقلتَ العلاقة فورًا، قررنا أنها تكون من خارج البلاد العربية، فاتصلتُ ببعض إخواننا حتى يتصلوا بهم، فاتصلوا بهم، فبعثوا لي مندوب في لندن، رحت قابلته في لندن". كما صرح بأنَّ ما أفرزته الثورة الإيرانية من قيام الدستور على أساس طائفي كان غلطة أثرت في مسيرة وحدة المسلمين، ولكن ذلك لم يؤثِّر أبدًا في العلاقات الإخوانية الإيرانية، وبرر ذلك بقوله: "هو مبدأ عام عند الإخوان، إنه في وسط الإسلاميين: (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه)". كما وأكَّد هذا الأخير على أنَّ العلاقة بين الإخوان وإيران لم يحصل فيها فتور على الرغم من الوضع الطائفي الذي أفرزته الثورة، وعلى الرغم مما بدر من صادق خلخالي مسؤول المحاكم الثورية آنذاك من تكفير للإخوان ووصفهم بعملاء الشيطان. وهكذا تَهُون أخطاء إيران في نظر الإخوان المسلمين وتذوب تمامًا تحت شعار (يعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه)، ولو كانت تلك الأخطاء هي الإعتقال والحبس والقتل والتصفية والممارسات الطائفية!، وتبقى المصالح السياسية والروح الثورية هي المساحة المشتركة التي تعلو على أي أمر آخر. وفي الوقت الذي لا يجد الإخوان المسلمون أي بأسٍ في أن يعذروا النظام الإيراني إذا صدر منه ما صدر ولو كانت الجرائم الموبقة حفاظًا على المكاسب السياسية؛ فإنهم لم يتورعوا أبدًا عن رفع سيف التهديد والتحريض على الأنظمة الأخرى من دون أن يطبِّقوا معها لا من قريبٍ ولا من بعيد -

في ازدواجية مفضوحة - قاعدتهم (يعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه)!.

ولقد جاء في وثيقة إيرانية خطيرة كشفتها المقاومة العراقية بعد احتلال العراق ومن خلالها تنكشف أبعاد العلاقة الأخيرة بين إيران وحزب الإخوان المسلمين، وهذه الوثيقة نشرت في شبكة البصرة: في أواخر عام 2005 أسرت المقاومة العراقية شخصًا إيرانيًا وضع لفترة تحت المراقبة، واتضح فيما بعد أنه ضابط مخابرات إيرانية كبير (من فيلق القدس) مكلف بالتنسيق مع التنظيمات الموالية لإيران في العراق، وعثرت معه على وثيقة خطيرة تكشف الخطة الإيرانية في مجال الإعلام الموجه للأقطار العربية، تسلط الضوء على حجم التغلغل الإيراني في أوساط عربية مثل كتاب وصحفيين وسياسيين محسوبين على الخط الوطني والقومي والإسلامي العربي!. ورغم تكتم مخابرات المقاومة الوطنية العراقية على أسر هذا الضابط لمدة سنتين لأسباب أمنية إلا أنها كشفت لشبكة البصرة النقاب عن بعض ما ورد في الوثيقة التي كانت بحوزته.. ونذكر هنا ما يتعلق بحزب الإخوان في هذه الوثيقة: "إن التنظيمات الناصبية المعادية لنا بالأصل كالإخوان المسلمين تجد أنها أقرب إلينا من العفالقة العلمانيين، لذلك فإن تمتين العلاقة معهم ضرورة لأجل تحقيق اختراقات تاريخية في مصر بشكل خاص عن طريقهم، عبر المساعدة على انتشار المذهب في مصر تحت غطاء تعاوننا مع الإخوان المسلمين هناك. ويجب في هذا الصدد أن نكون كرماء جدًا مع هؤلاء، لأنهم أقدر من غيرهم على عزل التيارات القومية العنصرية العربية". كما جاء في شبكة المنصور - شبكة المقاومة العراقية، والتي يتولاها حزب البعث الإشتراكي العراقي- (وكذا نشره موقع أنا المسلم بتاريخ 9/ 4/ 2011م)[31] ما يلي: اليوم تكشف المقاومة العراقية ومن خلال مخابراتها الوطنية عن مخطط إيراني رهيب يهدد أمن واستقرار كافة الأقطار العربية، يؤكد كل المعلومات التي حصلت عليها المقاومة في السنوات السابقة، فقد ألقت المقاومة الوطنية العراقية القبض على أحد أخطر ضباط المخابرات الإيرانية - والذي كان يقوم بدور منسق العلاقات بين التيارات التابعة لإيران

(31) يمكن الرجوع إلى كل هذه المواقع لمن أراد التبين والإستزادة في الأمر.

في العراق وأغلب الأقطار العربية، وبين المخابرات الإيرانية -، وكان موضع مراقبة دقيقة ومتواصلة منذ شهور في إحدى مدن جنوب العراق، حيث كان يقيم متخفيًا باسم ولقب مزيفين ويتحدث اللّهجة العراقية بطلاقة تامة. وحينما اكتملت عملية المراقبة هاجمت وحدة متخصصة من مخابرات المقاومة الوطنية العراقية البيت الذي يسكنه ليلاً وألقت القبض عليه. وبالنظر لخطورة المعلومات الواردة فإن منظمتنا تنشر اليوم بعض هذه المعلومات لأهميتها في إنقاذ أقطار عربية من مخططات جهنمية إيرانية تتطابق مع المخططات اليهودية التي عرفت ونشرت. وفيما يلي بعض المعلومات الخطيرة: وذكروا مخططا لكل دولة إسلامية. والذي يعنينا الآن ما يتعلق بتآمر إيران مع حزب الإخوان المسلمين ضد مصر، فجاء في هذا المخطط: أما في مصر فإننا لدينا الآن خطة محكمة تنفذ بنجاح وفيما يلي أهم خطواتها: بعد أن تم إسقاط مبارك - وهو أحد أهم أهداف جمهورية إيران الإسلامية -، يجب في المرحلة الأولى من خطتنا دعم ترشيح شخصية ناصرية تتمتع باحترام أوساط مصرية مهمة لها معنا صلات ممتازة منذ سنوات لرئاسة الجمهورية، وإذا نجحنا في إيصاله للرئاسة فإننا سنخطو خطوة كبيرة ومهمة في إعداد الساحة المصرية لتكون صديقة لنا وغير معرقلة لأهدافنا الإقليمية كما كانت في عهد مبارك عقبة كأداء بوجه إيران. وفي هذه المرحلة فإن أهم هدفين لنا في مصر هما تحويل مصر من النظام الرئاسي إلى النظام البرلماني، لأن النظام الرئاسي يضع بيد الرئيس صلاحيات كبيرة جداً تجعل بإمكان مصر إتخاذ أي موقف بسرعة وبدون عرقلة من البرلمان، لمواجهة مواقف وأحداث مهمة في المنطقة، ولذلك فإن النجاح في جعل مصر جمهورية برلمانية يتحكم فيها البرلمان في القرار النهائي وليس الرئيس أمر لا بد منه من أجل ضمان وجود آراء متناقضة في البرلمان تستطيع عرقلة السياسات المعادية لنا. والهدف الثاني الجوهري هو وصول الإخوان المسلمين إلى البرلمان وحصولهم على عدد من النواب يجعلهم القوة البرلمانية الرئيسية، فنوفر إمكانية تعديل الدستور لجعل مصر ذات نظام برلماني. وعلينا تذكر أن مجرد رفض جماعة الإخوان المسلمين الدعاية المعادية لإيران والتي تقول: إننا نريد إثارة فتن طائفية في مصر وغيرها

وتأكيدهم أن إيران دولة إسلامية شقيقة لا تريد إثارة الفتن وأنها ليست طائفية هو خير خدمة يقدمها الإخوان لنا، تفتح الطريق لنا أمام كسب أغلبية سنية في مصر تضع حدًا للتيارات المعادية لإيران هناك. وعلينا أن نتذكر بأن تحالفنا مع الإخوان في مصر سيساعدنا أيضًا في تحقيق الهدف الأهم في مصر، وهو نشر المذهب على نطاق واسع مستغلين الفقر والأمية والأمراض والإضطهاد للطبقات الفقيرة والمعدمة والقيام بمشاريع خيرية لمساعدة هؤلاء الناس على التغلب على مشاكلهم، وعندها ننشر دعوتنا كما فعلنا بنجاح تام في سوريا، وتكون لدينا طائفة من أهل البيت قوية وفعالة. ولذلك فإن دعم جماعة الإخوان لنا عمل مهم جدًا في إزالة المخاوف في الأوساط السنية المصرية منا، وعلينا أن ندفع الثمن الذي تريده جماعة الإخوان مهما كان كبيرًا مقابل ذلك. لقد حققت الثورة الشبابية في مصر تحولات سياسية كبيرة جدا تتمثل في بروز تيار سياسي هو الأكبر الآن وهو تيار الشباب الذي نجح في إسقاط مبارك، ولذلك فمن الضروري ضمان النجاح في تحقيق عدة أهداف جوهرية أهمها:

أ - علينا أن لا ننسى أن الأشخاص الرئيسيين في قيادة الشباب بعيدين عنا عقائديًا، فهم في غالبيتهم متأثرين بأمريكا والغرب وهم يشكلون أمل الغرب في إجراء تغييرات في مصر لصالحه، وهذا يفسّر الدعم العلني لهم من قبل أمريكا والإتحاد الاوربي.

ب - علينا أن ندخل في صفوفهم عن طريق أصدقائنا المصريين ونستغل كل علاقاتنا بهم للوصول إلى هؤلاء الشباب والبحث بينهم عمَّن يمكن أن يكون مع توجهاتنا الفكرية والسياسية، ولذلك يجب إعداد قائمة بأسماء هؤلاء القادة الشباب مع تقييم شامل لكل منهم.

ت - تنظيم رحلات لهؤلاء الشباب إلى إيران للتعرف على الحقيقة وتنظيف رؤوسهم من الدعايات المضللة حول إيران وكسبهم إلى جانبنا.

ث - عزل من يرتبط بأمريكا منهم برباط لا أمل في فكه وكشفهم أمام زملائهم الآخرين بكافة الطرق.

ج - الإهتمام بمن يتميز بأنه عاطفي ومندفع وقليل الثقافة السياسية، وإبرازهم ودعم توليهم أماكن قيادية في حركة الشباب وفي التنظيمات السياسية التي من المتوقع إنشائها في مصر، لأن هذا النوع العاطفي والمتسرع خير من يخدمنا ويحقق أهدافنا الكبيرة، فعلى الأقل أنه مضمون بقيامه بنشر الإنقسامات في صفوف الشباب والقوى السياسية نتيجة فورة العاطفة لديه وقلة ثقافته السياسية.

ح - لا بد من إبقاء الصلات قوية مع كل الشباب مهما كانت مواقفهم غير متفقة معنا لأجل إبقاء خيط من التأثير عليهم مهما كان ضعيفًا.

خ - إذا نجحنا في إقناع بعض هؤلاء الشباب بالزواج من إيرانيات فسوف نضمنهم كليًّا ونحدد نحن مستقبلهم السياسي. ولهذا يجب إعطاء منح دراسية لهم للدراسة في إيران على أوسع نطاق كما فعلنا في لبنان واليمن لتوفير فرص الزواج من إيرانيات إضافة لتثقيفهم بثقافتنا. أما بالنسبة للأقباط فإن الأمر الذي لا بد منه هو إقامة أفضل العلاقات معهم من قبل أنصارنا في مصر، ومن قبل من يمثلنا رسميًّا أيضًا أي السفارة، والسبب هو أن وجود علاقات دعم قوية مع الأقباط يضمن لنا وجود تأثير على كل الأطراف المصرية وتسهيل تقبلنا هناك كدولة، وكطائفة صغيرة تتعرض للإضطهاد من قبل الأغلبية السنية. وعلينا أن نوضح للأقباط بأن إيران لا تقبل باضطهادهم، وإنها مع منحهم كامل الحقوق وأن الشيعة في مصر يتعرضون للإضطهاد مثلهم. ولا بد أن نستخدم العناصر القبطية المتطرفة في تعميق الجروح بين الأقباط والسنة، وعلينا أن لا ننسى أن الأقباط مدعومين من أمريكا والغرب لذلك فإن علاقات طيبة معهم سوف تساعد على تحسين علاقاتنا بالغرب وتقليل عدائه لجمهورية إيران الاسلامية، لأن الأقباط سيكونون لوبيًّا داعمًا لنا. أما في المرحلة الثانية من تنفيذ خطتنا في مصر فإننا وبعد إكمال إقامة علاقات ممتازة بالجميع مهما تناقضت مواقفهم العامة، وبعد توسيع نفوذ شيعة مصر، فيجب دعم إنتخاب رئيس لمصر من الإخوان المسلمين لتصبح هذه الجماعة القوة الرسمية التي تحكم مصر، وذلك هدف كبير لنا لأنه سيؤدي حتمًا إلى زيادة الصراع السني القبطي

وتحوله إلى أكبر تهديد لوحدة مصر وقوتها، بالإضافة إلى أنه سيجر العلمانيين والليبراليين إلى المعركة ضد حكم السنة، وعندها لن نخشى وقوفنا مع الأقباط والعلمانيين ضد حكم السنة في مصر والعمل ضده ومن أجل إسقاطه دستوريًا وجعل شيعة مصر يحققون مكاسب كبيرة جدًّا عن طريق دعم مطالب الأقباط والشيعة من قبل كل الأطراف العلمانية وغيرها، والإنتقال إلى تفجير العنف لأجل إدخال مصر مرحلة فوضى شاملة تحرمها من لعب أي دور إقليمي، وتلك حالة تخدمنا على اعتبار أن مصر هي مركز الثقل العربي، كما أنها تشغل مصر سنوات طويلة بالإضطرابات الداخلية ومستنقع الصراعات الطائفية بين السنة والأقباط وبين السنة والشيعة. ونحن نتوقع من وراء ذلك حصول تحولات طائفية ضخمة في مصر تجعل السنة أقلية وهو هدفنا النهائي في مصر. إن مصر المقسمة والمتصارعة طائفيًا هدف إستراتيجي لإيران، لأنها تضمن تحويل مصر من أكبر قوة عربية إلى قوة ثانوية، وبعد أن دمَّرنا العراق كمركز يسد الطريق بوجه إيران فتحت أمامنا كل الطرق للتدفق من العراق وإنهاء فترة قيامه بما سمي بـ(البوابة الشرقية) للعالم العربي، والآن جاء دور مصر وعلينا منع مصر لعدة عقود من لعب دور أساسي في العالم العربي".

وفي هذا الصدد يمكن القول أن من يظن أن حزب الإخوان في البرلمان أو مرشحه الرئاسي جادون في تطبيق الشريعة فإنه واهم، لأن جل رموز حزب الإخوان المسلمين من المفكرين والسياسيين يعتقدون ما جاء في الكلام التالي لعبد الحميد متولي - شيخ محمد سليم العوا-، حيث قال - إمعانًا في إسقاط التشريعات الخاصة بالسياسة والحكم من السنة النبوية- في كتابه "أزمة الفكر السياسي الإسلامي": "إن الأخذ بالرأي الذي نقول به يرمي إلى تضييق نطاق دائرة الأحاديث التي يصح الإستناد إليها والإلتزام بها في ميدان أنظمة الحكم، وهذا التضييق من ناحية يؤدي من الناحية الأخرى إلى اتساع المجال أمام المشرِّع الدستوري لكي يضع من الأنظمة ما يتلاءم مع ظروف البيئة التي يشرِّع لها، دون أن تقف السنة حائلاً في طريقه. يجدر بنا أخيرًا أن نقرر ونكرر ما سبق لنا ذكره من أن السنة الصادرة في الشئون الدستورية - في المسائل الجزئية - لا تعد تشريعًا عامًا، أي غير ذات حجيَّة

ملزمة لنا في هذا العصر، لأنها تعد من تلك السنن التي تصدر من الرسول - على حد تعبير علماء الشريعة -: باعتبار ما له من الإمامة والرياسة العامة لجماعة المسلمين !!!"[32]. وأكّد هذا المعنى الكاتب الأزهري الإخواني محمد عمارة فقال في كتابه "الدولة الإسلامية": "ما قضاه وأبرمه وقرره الرسول في أمور الدين: عقائد وعبادات لا يجوز نقضه أو تغييره حتى بعد وفاته، لأن سلطانه الديني كرسول ما زال قائمًا فيه، وسيظل كذلك خالد بخلود رسالته عليه الصلاة والسلام على حين أن ما أبرمه من أمور الحزب والسياسة يجوز للمسلمين التغيير فيه بعد وفاته، لأن سلطانه هنا قد انقضى بانتقاله إلى الرفيق الأعلى وخلفه سلطان الخليفة الذي هو سلطان مدني لا أثر للسلطة الدينية فيه"[33]. وهذه المغالطات هي التي اتخذها العلمانيون ذريعة لإسقاط الشريعة تحت ستار تغير أحوال العصر، والتي ليست ملائمة للأحكام التشريعية من حدود ومعاملات التي حكم بها الرسول صلى الله عليه وسلم. إذا لا فرق هنا بين العلمانيين والإخوان المسلمين. وهو ما زاد من تسلط الدولة الرافضية الفارسية الإيرانية على هذه البلاد (مصر). ولذلك صدق الأمير نايف - ولي العهد في الدولة السعودية - حين قال منذ سنوات: "إن تاريخ الحزب يدل على أن قصدهم القفز إلى الحكم، وليس الدعوة إلى شرع الله وخير الإسلام والمسلمين. وأنهم هم السبب في المشاكل في العالم الإسلامي". إن جماعة الإخوان المسلمين قد بُنيت على أصول بدعية فاسدة في أغلب أبواب الإعتقاد، وفي هذا الأمر نحيل المهتمين بالموضوع إلى ثلاث كتب في بيان المد الرافضي الأسود في الحقبة الأخيرة على بلاد الإسلام، وهي: الكتاب الأول: كتاب "رهينة بقبضة الخميني"، كتبه المستشرق روبرت دريفوس، وذكر فيه وثائق في غاية الخطورة تظهر كيف قامت المخابرات البريطانية بالتعاون مع الماسونية العالمية بصناعة الرافضي جمال الدين الأفغاني -الأب الروحي لحزب

(32) عبد الحميد متولي، أزمة الفكر السياسي الإسلامي، بيروت: دار إبن خلدون، 2002م، ص71-72.

(33) محمد عمارة، الدولة الإسلامية، بيروت: دار الساقي، 2004م، ص76.

الإخوان المسلمين-، وخصَّص فصلاً في الكتاب بعنوان: "الإخوان المسلمون مكيدة بريطانية ضد الإسلام". ومن ثَمَّ يصدق كلام محدث مصر العلامة أحمد شاكر - الذي عاصر نشأة الحزب- لما قال: ".. حركة الشيخ حسن البنا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدَّامة ينفق عليها الشيوعيون واليهود، كما نعلم ذلك علم اليقين". بل شهد على حزب الإخوان رجل منهم وهو محمد قطب، حيث قال: "إن جماعة الإخوان المسلمين قد انحدرت لدرجة أنني أعتبرهم احتياط موجود عند الغرب سيستخدمهم في حالة إحساسه أن الإسلاميين الحقيقيين سيصلون للحكم ويهددون المصالح الغربية في الشرق الإسلامي، وأردف الشيخ قائلاً: وأنا أسأل الله العظيم ألا تصل هذه الجماعة إلى الحكم في أي بلد من بلاد المسلمين لأنها ستضرب كل من يخالفها وكل ذلك سيكون باسم الإسلام، ولن تسمح لأحد بإبداء رأيه". والكتاب الثاني: كتاب "**البعث الشيعي في سورية (1919-2007)**" إعداد المعهد الدولي للدراسات السورية، وفيه بيان خطة الروافض في إدخال الرفض إلى سوريا تحت خطط مدروسة، وهم يسعون لتطبيق النموذج السوري في مصر كما تقدم ذكره في مخططاتهم ضد مصر. والكتاب الثالث: كتاب "**غربان الخراب في وادي الرافدين**" للدكتور طه حامد الدليمي، والذي بيَّن فيه الوحشية والشذوذ النفسي لمقتدى الصدر الرافضي وجيشه المسمى بجيش "المهدي" ضد المسلمين ومساجدهم في العراق.

المبحث الثالث
الحراك المهدوي وأثره على العلاقة
بين السياسي والديني في إيران

يتحدث الباحثون كثيرا عن تداخل دقيق بين العاملين العقدي والسياسي في أداء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وأمام مستجدّ الحراك المهدوي الأخير في إيران سنحاول من خلال هذه السطور رصد تطور الفكر السياسي الإيراني في علاقته بعقيدة الإمام المهدي، ثم دورهذه العقيدة في قيام نظام

الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لتنتقل بعد هذه المعالجة إلى تتبع تجليّات المهدوية في خطاب الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد، وارتباط ذلك بالحراك الذي تعرفه إيران منذ انطلاق الثورات العربية الأخيرة. ونفترض من خلال هذا العنصر أنّ الحراك المهدوي المتفاعل في الساحة الإيرانية هو امتداد لنقاش مذهبي صاحب تطور الفكر السياسي الإثني عشري، كما تفترض وجود وجهات نظر متباينة لموضوع المهدوية عند الفاعلين في نظام الجمهورية الإسلامية، وأنّ خطاب أحمدي نجاد المهدوي هو استمرارية ووسيلة اعتمدها لتحقيق برنامجه داخليًا وخارجيًا:

فلقد شهدت إيران منذ بداية مارس 2011 نقاشًا في شأن موضوع خروج الإمام المهدي ومايتصل به من قضايا مذهبية وفكرية، وذلك عقب توزيع مؤسسة "مبشران ظهور" مئات الآلاف من نسخ قرص مضغوط بعنوان: "الخروجُ قريب جدا"، تتنبّأ فيه بأن العالم على مشارف وقت خروج الإمام الثاني عشر المهدي بن الحسن العسكري، وعلامة ذلك برأي معدِّي القرص هي بروز القادة الممهّدين لخروجه، والذين وردت أسماؤُهم وصفاتهم في روايات منسوبة للأئمة من آل البيت النبوي، ومن هؤلاء مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية علي خامنئي الذي اعتبره أصحاب المادّة الإعلامية القائد السيد الخراساني، ومساعده القائد العسكري شعيب بن صالح الذي هو في اعتقادهم الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، في حين أنّ الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله هو السيد اليماني، واعتبروا العاهل الأردني الملك عبد الله بن الحسين هو السفياني، والعاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز هو آخر ملوك الحجاز الذي سيكون موته دليلاً على بداية علامات خروج المهدي المنتظر. أمّا النفس الزكيّة التي ورد ذكرها في روايات العقيدة المهدوية بأنها ستقتل في العراق قبل الخروج، فقد اعتبرها مفسّرو مؤسّسة "مبشران ظهور" شخصيّة المرجع العراقي باقر الحكيم الذي قُتل في انفجار عام 2003. ليست هذه أوّل مرة يشهد فيها التاريخ الإسلامي عامّة وتاريخ المذهب الشيعي الإثني عشري خاصّةً مثل هذه الإسقاطات لروايات خروج الإمام المهدي، فقد سبقتها قراءات بعضها لم يترك أثرًا، بينما كان للبعض الآخر تأثير سياسي واجتماعي كبير في التاريخ الإسلامي.

تشكّل شخصية الإمام الثاني عشر المهدي بن الحسن العسكري إهتمام فقهاء المذهب الشيعي الإثني عشري ورواته بإثبات قضيتيْ ولادة الإمام المهدي بن الحسن وغيبتيه، فحاولوا الدفاع عن ذلك أمام حيرة أتباع المذهب ونفْي باقي الفرق والمذاهب الأخرى. وحشد الإثنا عشريون من أجل ذلك مجموعة من الأحاديث والروايات، وبناءً عليها، يقول روّاد المذهب: أنّ المهدي بن الحسن العسكري هو تاسع الأئمة من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، والثاني عشر في ترتيب أئمة المذهب، وأنه غاب عن الأنظار لأوّل مرة مدة 74 عاماً وناب عنه سفراؤه الأربعة: عثمان بن سعيد العمري (توفي سنة 265 هجرية)، فمحمد بن عثمان بن سعيد العمري (توفي سنة 305 هجرية)، ثم الحسين بن روح النوبختي (توفي سنة 326 هجرية)، وأخيرا أبو الحسن علي بن محمد السمري (توفي سنة 329 هجرية). وبعد وفاة السفير الأخير عام 329 هجرية، ولأن الإثني عشرية يعتقدون بضرورة اتّصاف الإمام بالعصمة وأنّ ذلك منصوصٌ عليه من الله، ولإيمانهم بغيبة المعصوم المعيّن من قبل الله، بقيت النيابة عن الإمام المهدي في فقهاء المذهب بشكل مؤقّت (أوبالإنابة) شرط عدم الخوض في أي نشاط سياسي ثوري أوحكومي إلا تحت قيادة الإمام المنتظر. تعرّضت هذه الرواية وما بُني عليها من رؤى مذهبية لانتقادات قديماً وحديثاً، من داخل المذهب وخارجه. ويقول الباحث في قضايا المذهب الشيعي الإثني عشري الأستاذ أحمد الكاتب: "عندما اختلف أهل البيت في القرن الثاني الهجري، بين عباسيين وطالبيين وعلويين وكيسانيين وحسنيين وحسينيين وإسماعيليين وموسويين، نشأ من الشيعة فريق يؤمن بحق خط معين منهم، هو الخط العلوي الحسيني الموسوي بالإمامة والخلافة إلى يوم القيامة. ولكن هذه النظرية وصلت إلى طريق مسدود مع وفاة الإمام الحسن العسكري سنة 260 للهجرة دون خلف يرثه في الإمامة. وكان من المحتمل جدا، أن يطوي التاريخ حديث التيار الإمامي الموسوي، لولا مبادرة بعض أركانه إلى اختلاق قصة وجود ولد مستور وغائب للإمام العسكري، وتأليف النظرية الإثنى عشرية في القرن الرابع الهجري، مما سمح لها بالبقاء في أذهان فريق من الشيعة، ظل ينتظر خروج ذلك الإمام

أكثر من ألف عام، ولم يجنِ ذلك الفريق من انتظاره للإمام الغائب، سوى العزلة والتلاشي والإنكفاء والغيبة عن مسرح الحياة"[34].

وفي العصر البويهي (932 م-1055م)، بدأ الفقهاء الشيعة التأسيس الفقهي المذهبي لدور الفقيه على يد فقهاء مؤسسين أمثال: الكليني والشيخ المفيد والسيد المرتضى والطوسي. واستمرّت لدى الشيعة فكرة انتظار خروج الإمام الغائب، صاحب "الدولة الشرعية"، إلا أن ذلك لم يمنعهم من البحث عن مخرج لمسألة النيابة في زمن الغيبة، وظهرت نظرية النيابة العامّة للفقهاء، بمعنى أن كلّ فقيه هو نائب عن الإمام المهدي حتى ولو لم يُعَينه شخصيا، وفي ظلّ هذه الأجواء برزت المرجعية الدينية الشيعية[35]. ولأن انتظار الإمام الشرعي الغائب أصبح هدفًا بعينه، فقد عاش الإثنا عشريون مايشبه حالة توقّف سياسي دامت قروناً من الزمن، وهو الموقف الذي انتبه إليه بعض فقهاء الشيعة، فبدأ التفكير في اتجاه إيجاد حلول مناسبة تعيد المذهب إلى معترك الحياة السياسية. وفي هذا السياق يسجّل الباحث وجيه كوثراني أنّ ارتباط فكرة "نائب الإمام" بمشروع سلطة أوسلطان، أي تأسيس دولة، أمر مختلف فيه وليس ثابتًا من ثوابت التاريخ، وإن حصل فإنه يعبّر عن حالة من الحالات، ولايعبّر عن الحال السائدة في التاريخ[36].

ثم قامت الحركة الصفوية في تبريز في مطلع القرن العاشر الهجري سنة 907 هجرية، واتّجهت نحو جمع الشيعة تحت لواء واحد، لكنها إذ وجدت أنّ نظرية الإنتظار تشكّل حاجزا دون تأسيس دولة شيعية، أجاز فقهاؤها لزعمائهم غير المعصومين ولا المنصوص عليهم من الله القيام بمهام الإمامة. بذل الشاه إسماعيل الصفوي في مرحلة لاحقة جهودًا لتجاوز فكر التقيّة والإنتظار، ثم حشد القزلباشية وحاصر جامع تبريز ذات جمعة وأعلن سيادة

(34) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي، الكويت: شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، 2005م، ص96.

(35) E.Kedourie, and sylvia G.Haim, *Towards A modern Iran*, London, 1980, p.164.

(36) وجيه كوثراني، سلطان الدولة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2010م، ص85.

المذهب الإثني عشري وقيام الدولة الصفوية، إستنادًا إلى حجّتين، أولاها: الوكالة الخاصّة عن الإمام المهدي، والثانية: رؤية الإمام علي في المنام. وتميّزت العلاقة بين الفقهاء والملوك في العصر الصفوي باقتسام سلطة النيابة، مع تجاذبها أحيانًا، حيث أطلق الملك طهماسب بن إسماعيل على الفقيه الشيعي نور الدين الكركي (1466م-1534م) إسم نائب الإمام المهدي، بينما ادّعى الشاه إسماعيل بن طهماسب فيما بعد وظيفة النيابة عن المهدي، في حين عمد الشاه عباس الكبير (1641م-1664م) إلى تقليص نفوذ الفقهاء في مؤسّسات الدولة. وميّز هذا الوضع بوضوح بين اتّجاهين في المدرسة الإثني عشرية. عرف الأوّل بالإتجاه الإخباري التقليدي، وهو الذي أسّس موقفه على ضرورة الإنتظار حتى خروج الإمام المهدي، وحذّر من ممارسة شؤون الحكم باعتبارها حقًّا شرعيًّا موقوفًا على الأئمّة المعصومين من أهل البيت. أمّا الإتجاه الثاني فهو الإتّجاه الأصولي التجديدي الذي حاول إيجاد حلول لواقع الإنتظار الذي منع الشيعة من الإجتهاد والفعل التاريخي قروناً من الزمن، فقام فقهاء هذا الإتجاه بالبحث والتفكير انطلاقًا من أدلّة نقليّة وعقلية تؤكّد على ضرورة وجود أمير وحاكم يقود الناس. وشهدت بداية القرن الحادي عشر الهجري محاولات جادّة من الأصوليين لتجسيد اجتهاداتهم، منها مبادرة محمد باقر السبزواري الذي دعا إلى تأسيس نظام سياسي، حيث قال: "إذا لم يوجد سلطان عادل وقوي يدير العالم ويحكمه في هذه الدورة من الغيبة، فإنّ الأمور ستنتهي إلى الفوضى والهرج والمرج، وتصبح الحياة غير قابلة للعيش لكلّ شخص، فلا بد للناس من الخضوع تحت سيطرة ملك يحكم بالعدل ويتبع سيرة وسنة الإمام"[37]. وقد رفض أحمد بن محمد مهدي النراقي (توفي سنة 1245هـجرية) فكرة الإنتظار، مقدّمًا مقترحاً نظريا بعنوان "ولاية الفقيه"، ومشدّدًا على ضرورة استمرار الإمامة في زمن الغيبة. ولا كان العثور على "الإمام المعصوم المعين من قبل الله" مستحيلاً، تخلى النراقي عن اشتراط العصمة والنص

(37) محمد باقر السبزواري، إيران وزمن الغيبة، عمان: مركز الكتب الأردني، 2011 م، ص44.

والسلالة العلوية في الإمام، واكتفى بشرط الفقه والعدل. وهكذا، أصبحت أدبيات المذهب الشيعي الإثني عشري ناضجة بما فيه الكفاية للمزاوجة بين عقيدة إنتظار خروج الإمام المهدي والنيابة عنه في تسيير شؤون البلاد والعباد، وهي النيابة التي توضع بيد فقيه جامع للشروط.

منح فقهاء العصر الصفوي للملوك الإجازة باعتبارهم نوّاب الإمام المهدي، فيما حصلوا نظير ذلك على امتيازات واسعة في العصر القاجاري نظرًا لحاجة ملوك هذه الدولة إلى الدعم لافتقارهم إلى الشرعية التي تمتّع بها الصفويون عندما أعلنوا انتسابهم إلى أهل البيت النبوي، كما اعتمد هؤلاء الملوك على الفقهاء في حشد الناس لمواجهة التهديد الروسي لإيران.

إستمرّ النقاش الشّيعي في شأن الولاية والحكم على مرّ القرون، وفي نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين، شارك مجموعة من الفقهاء والمراجع في ماعرفته إيران من تحوّلات، خاصّة ما تعلّق بالمطلب الدستوري وما يتّصل بشروط الدولة الحديثة. ومرّةً أخرى، تمايز خطاب المدرستين الإخبارية والأصولية في هذا الحراك، بناءً على مواقفهما من قضيّة الحكم. يتحدّث الإخباريون عن مطلب الدولة "المستبدّة الشرعية"، فيما يرفع الأصوليون شعار دولة "المشروطة". وتجلّى هذا التمايز في مفهومي "الملكية الدستورية الشّرعية" عند الإخباريّين، و"الملكية الدستورية" عند الأصوليّين. ويقصد الأصوليون بمفهوم "الملكية الدستورية" ذلك النظام الذي يوازي بين الشّرعية الإلهية للملك وشرعيته الشعبية، فالولاية عندهم مشروطة بخدمة الشعب ورعاية مصالحه. وكان من أبرز فقهاء هذا الإتّجاه محمد حسين النائيني (1860م-1936م). أمّا الإخباريون، فيعتقدون أنّ "الملكية الدستورية الشرعية" هي التعبير الصحيح عن الطبيعة الإلهية للسلطة السياسية، والتي ينبغي لها أن تظلّ تحت مراقبة الفقهاء. وعبر هؤلاء عن تخوّفهم من سيطرة النمط الصهيوني المخالف للإسلام على حياة المجتمع الإيراني. ومن أبرز ممثلي هذا التيار فضل الله نوري (توفي 1909م)[38].

(38) إبراهيم الدسوقي، شتا، الثورة الايرانية، الجذور الأيديلوجية، بيروت: دار الكتب، 1979، ص111.

وقد شهد النقاش في شأن الولاية نوعًا من الجمود في بداية العصر البهلوي منذ سنة 1924م إلى غاية سنة 1963م، حيث سيطر الإتجاه الإخباري مرةً أخرى، وبرز مع دعوات فقهاء أمثال آية الله حائري الذي قال بضرورة إبتعاد الفقيه عن السياسة. واستطاع فقهاء المدرسة الأصولية تجاوز هذه العقبة أيضا والدفع باجتهاداتهم نحو أفق تثبيت ولاية الفقهاء والحكم نيابة عن الإمام المهدي، ليبرز الإتجاه مرةً أخرى مع جهود روح الله الخميني الذي قاد الثورة في ما بعد على النظام الملكي عام 1979.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ساحة الجدل شهدت في هذه المرحلة جهودًا للإخباريين أيضًا بقيادة آية الله البروجردي، إضافةً إلى تيّار جديد حاول التوفيق بين الإتّجاهين، وقاده كلٌّ من آية الله الكلبايكاني وآية الله كاظم شريعتمداري. وركّز هذا التيار على تفعيل دور العلماء في الرقابة على الدولة. كما شجّع امتداد زمن انتظار الإمام المهدي وتعقّد الظروف الدولية روح الله الخميني على تعميق التفكير في نظرية "ولاية الفقيه"، والتأكيد على ضرورة الإمامة في عصر الغيبة كما فعل النراقي من قبله، حيث قدّم هذه النظرية على أنّها الحلّ الأمثل لقضيّة إنتظار الإمام الغائب، فهي لا تشترط العصمة ولا النصّ، ولا السّلالة العلوية الحسينية في الإمام، وتكتفي بالفقه والعدل. ويرى باحثون أنّ الخميني جعل من هذه النظرية وسيلةً لإخراج المذهب الشيعي الإثني عشري من عزلته، وأرضيّة لقيام نظام "الجمهورية الإسلامية الإيرانية".

ألقى روح الله الخميني دروسًا في النجف عام 1969م، جُمعت فيما بعد في كتاب تحت عنوان (الحكومة الإسلامية)، ودافع في هذه الدروس عن رؤيته للولاية قائلا: "إن ضرورة تنفيذ الأحكام لم تكن خاصة بعصر النبي (ص) بل هي مستمرة. والإعتقاد أن الإسلام قد جاء لفترة محدودة أو لمكان محدود يخالف ضروريات العقيدة الإسلامية، وبما أن تنفيذ الأحكام بعد الرسول (ص) وإلى الأبد من ضروريات الحياة، كان وجود حكومة تتوفر على مزايا السلطة المنفذة المدبرة ضروريا، إذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج، فقد ثبت بضرورة الشرع والعقل أن ما كان ضروريا أيام الرسول

(ص) وفي عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) من وجود الحكومة لا يزال ضروريا إلى يومنا هذا. ولتوضيح ذلك أتوجه إليكم بالسؤال التالي: لقد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر عليه ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر، فهل تبقى أحكام الإسلام معطلة طيلة هذه المدة المديدة، يفعل الناس في أثنائها ما يشاؤون؟.. ألا يعني ذلك الهرج والمرج؟ وهل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام؟ هل ينبغي أن يخسر الإسلام بعد الغيبة الصغرى كل شيء؟"[39].

وخاطب الخميني الملتزمين بنظرية "الإنتظار" قائلاً:

"لا تقولوا: لندع إقامة الحدود والدفاع عن الثغور وجمع حقوق الفقراء حتى ظهور الحجة (الإمام المهدي)، فهلّا تركتم الصلاة بانتظار الحجة؟!". ثم واجه بالأدلة العقلية الأحاديث التي كانت تحرّم العمل السياسي في ظلّ "الغيبة"، ولم يعبأ بها. وحاجج بضرورة الإمامة في عصر الغيبة، قائلاً: "إنّ ما هو دليل الإمامة هو بعينه دليل على لزوم الحكومة بعد غيبة وليّ الأمر (ع)"[40].

بعد انتصار الثورة عام 1979 نزل الخميني (ولاية الفقيه) إلى ميدان التطبيق بوضع دستور جديد يقوم عليها، حيث يصبح الولي الفقيه أعلى سلطة دستورية في البلاد. وجاء في الأصل الخامس من الدستور الإيراني: "في زمن غيبة حضرة ولي العصر (عجّل الله فرجه)، تكون ولاية الأمر وإمامة الأمّة في الجمهورية الإسلامية بعهدة فقيهٍ عادلٍ وتقيّ، مطّلع بزمانه، شجاع، مدير ومدبّر". وبعد ثماني سنوات من الممارسة تقريبًا، نقل مرشد الثورة روح الله الخميني ولاية الفقيه من وضعها المقيّد في الدستور إلى شكل مطلق مشابه لصلاحيّات الرسول (ص) والأئمّة بحسب المعتقد الإثني عشري، وهو دَمجٌ لولاية الفقيه مع النّيابة العامة عن الإمام المهدي. كرّس موقف الخميني دور الفقهاء في الجمهوريّة الإسلامية، ليعمّق بعد ذلك

(39) حيدر جميل، قراءة في كتاب الحكومة الإسلامية، بيروت: دار النفائس، 2003، ص54.

(40) نفس المرجع، ص59.

التقليد الشّمولي في أوساط المجتمع الإيراني، ممّا دفع بالعقل الشيعي الإثني عشري إلى البحث مرّةً أخرى عن مخارجَ جديدة تعطي فسحة أكبر للعقل والمبادرة الإنسانية، فرجع الكثير من المثقفين إلى المفكّر علي شريعتي ومؤلفاته المناهضة لثقافة التقليد وامتداداتها السياسية. ويوضّح الباحث عادل رؤوف مأزق التقليد وتأثيره بقوله: "لقد أصبحت إرادة الأمّة إرادةً مرتهنة دينيًا.. يوجّهونها (المرجعيات الدينية) عبر رباط التقليد كيفما شاؤوا، وأصبح أبناء هذه الأمّة منقادين "طوعًا" عبر التقليد لـ"الشخصانية القيادية الفقهية الدينية"، وأصبحوا ينظرون إلى دورهم الديني من خلال هذه "الشخصانية المتعالية".

أعطى مفهوم ولاية الفقيه المطلقة للنظام الإيراني هويّةَ مهدويةً عالمية، لأنه ربط بشكل مباشر بين مشروع الجمهورية وإرادة الإمام المهدي وأهدافه الشاملة، إذ ستتوجّه في ما بعد كلّ جهود الدولة وبرامجها وإمكانيات البلاد وثرواتها نحو التمهيد لخروج الإمام. ويشير وجيه كوثراني في مقدمة كتابه (الفقيه والسلطان) إلى أنّ ماقام به روح الله الخميني يقترب كثيرًا من تجربة "الإخوان المسلمين" و"حزب التحرير"، حيث تبدو صلاحيات الولي الفقيه متطابقة مع صلاحيات الخليفة، كما تترادف "ولاية الفقيه العامة" مع "الحاكمية الإلهية. وقد بيّن المرشد روح الله الخميني - بما يكفي- التوجه العالمي لمفهوم المهدوية في الكثير من رسائله وخطبه وأحاديثه، ومنها قوله: "عليكم أن تدركوا بحقّ أنّ أعمالكم تحت المراقبة.. إنّ صحائف أعمالنا تُعرض مرّتين في الأسبوع على إمام العصر (عجّل الله فرجه الشريف)، فلنكن حريصين على ألّا يصدر منّي ومنكم ومن جميع محبّي الإمام (عجّل الله فرجه الشريف) عملٌ سلبيّ يوجب استياء إمام زماننا (عليه السلام)". وقال موضّحًا طبيعة الإنتظار في الجمهورية الإسلامية: "الإنتظار والإستعداد من الأمور المستحبّة، بمعنى أنه ينبغي للمؤمنين التسلّح في زمن الإنتظار، أن تكون أسلحتهم جاهزة، لا أن يضعوا أسلحتهم جانبًا وينتظروا، بل يجب عليهم حيازة الأسلحة لمواجهة الظلم، لأنّ النهي عن المنكر تكليف للجميع، أي علينا جميعًا مواجهة الأجهزة الظالمة

المناوئة..(للإسلام)"[41]. وعن تجربة الشعب الإيراني في هذا المجال، قال الخميني: "حقّق الشعب الإيراني المسلم أول خطوة في اتجاه حاكمية الإسلام وتقريب الشعوب الإسلامية من مرحلة خروج المهدي الموعود (عج)، وهذه الحقيقة واضحة في الإنجازات الكبيرة التي حقّقتها الجمهورية الإسلامية، وهي شيء مؤلم لأعداء الإسلام، ونحن نعتبر هذه الإنجازات من معجزات الإسلام".

وقبل وفاته بثلاثة أشهر تقريبًا، أبرز مؤسّس الجمهورية الإسلامية الإيرانية دور الثورة في التمهيد لحكومة الإمام الغائب قائلاً: "يجب على المسؤولين أن يعلموا أنّ ثورتنا ليست خاصّة بإيران، إنّ ثورة الشعب الإيراني هي نقطة انطلاق الثورة الإسلامية الكبرى للعالم الإسلامي تحت لواء حضرة الحجّة (أرواحنا فداه)، والذي امتنّ به الله تعالى على المسلمين والعالمين أجمع، وجعل خروجه وفرجه في عصرنا الحاضر. ويجب على دولة الجمهورية الإسلامية أن تبذل جهدها وإمكاناتها في خدمة الناس، لكن ليس بمعنى صرفهم عن الهدف العظيم للثورة، وهو تحقيق الحكومة الإسلامية العالمية". فتأكيد مرشد الثورة آية الله الخميني على وظيفة نظام الجمهورية الإسلامية المتمثلة في التمهيد لثورة الإمام الغائب ولحكومته الإسلامية العالمية، هيّأ الظروف بعد وفاته لظهور تيّار سياسي وفكري يرى أنّ مشروع الثورة الإسلامية هو حقيقة مقدّسة وجاهزة لأداء واجبات الإتّصال بالإمام المهدي، وقابله بروز تيّار آخر من داخل النظام نفسه يعتقد بنسبية الثورة الإسلامية وبشريّتها، وضرورة خضوعها لمشرح النقد وآليّة المراجعة.

فمنذ تولّي أحمدي نجاد منصب رئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في أوت 2005، لم يفتأ يُذكِّر في مناسبات شتّى بأنّ حكومته تعمل بتوجيهٍ من الإمام المهدي. وعقب عودته من الولايات المتحدة حيث ألقى خطابه أمام الجمعية العامّة للأمم المتحدة، في سبتمبر 2005، روى أحمدي نجاد

(41) Mangol BAYAT, *Mysticim and Dissent, Socioreigios Thought in Qajar Iran*, London, 2009, p.56.

للمرجع الشيعي آية الله جواد آملي أنّ أحد الحاضرين هناك أخبره بأنه كان محاطًا بهالة نورانيّة طوال فترة إلقاء خطابه[42]. وأثار هذا الحديث موجةً من الإنتقادات في إيران بعد أن انتشرت روايته على الشبكة العنكبوتية، واعتبره المراقبون حينها دليلاً على طبيعة الرؤية التي ستحكم أداء نجاد وحكومته في سنوات رئاسته المقبلة. ومن خلال إيمانه بنظريّة ولاية الفقيه الممهّدة للإمام الغائب، إعتقد الرئيس الإيراني السابق أنّ الوظيفة الوحيدة للجمهورية الإسلامية هي التمهيد لإقامة الحكومة العالمية. وفي قراءة صوفية لتصرف الإمام الغائب وتأثيره، يقول أحمدي نجاد: "نحن لا نملك القدرة على الإستفادة من كل فيوض الإمام، لقد تجلّت كل محاسن هذا العالم وجمالياته بوساطة وجود إمام العصر (عج)، وإذا حدث أن وقعت في قلبك نيّة خير فهي بفعل وجود حضرته (عج)". وقد عرفت الضفّة الشيعية العربية في هذه المرحلة ترويجًا للفكرة نفسها، خاصّةً في لبنان حيث نجد لها أثرًا في كتاب (أحمدي نجاد والثورة العالمية المقبلة) لصاحبه شادي الفقيه عام 2006 عن دار العلم في بيروت، وتم توزيعه بشكل كبير في لبنان.

وخلال زيارته لمحافظة مشهد في السادس من جوان 2008، ألقى محمود أحمدي نجاد خطابًا أمام أساتذة الحوزة العلمية وطلبتها، قال فيه إنّ الإمام المهدي يدعم أداءه الرئاسي ويدير برامجه الحكومية، فكان هذا التصريح كافيًا لانطلاق موجة أخرى من الإنتقادات من داخل التيار الإصلاحي والتيار المحافظ، إضافةً إلى استنكار بعض الفقهاء لهذا التصريح. واجه زعماء التيار الإصلاحي ومثقفوه الخطاب المهدوي عند أحمدي نجاد بصرامة بالغة، حيث اتهمه البعض بالإنحراف العقدي وتخطّي الخطوط الحمراء للمذهب الشيعي، واستخدام الخرافة للتأثير في البسطاء، بينما قال عنه آخرون إنه يوظّف عقيدة خروج المهدي المنتظر لتغطية فشله الإقتصادي. وفي هذا السياق، كتب القيادي الإصلاحي في حزب (إعتماد ملي) رسول منتجب نيا مقالاً طالب فيه نجاد بالتوضيح والردّ على ماينقل عنه من كلام، مثل "ماقيل عن تساؤل أحد مساعديه في شأن مصدر الملايير

(42) Curzon, George, N, *persia and persian question*, London, 2010, voll.I, p.433.

التي يعد بها كل محافظة يزورها، فأجابه أحمدي نجاد: لاتقلق بعد سنتين سيخرج إمام الزمان (عج) وستحل كل المشاكل". أمّا الزعيم الإصلاحي مهدي كروبي فقد دعا الرئيس السابق لإيران أحمدي نجاد إلى الإبتعاد عن أسلوبه الذي سيلحق ضررًا بالغًا بصورة الإمام الغائب في أذهان الناس، خاصّةً الناشئة منهم، ثم تساءل: "هل سينسب الناس تضاعف أسعار السكن وغلاء المعيشة والتضخم إلى إدارة إمام الزمان (عج). كان أفضل لك لو نسبت هذه المشاكل إلى الجفاف أو أميركا أوالحكومات السابقة...". وقال وزير الثقافة الإيراني الأسبق عطاء الله مهاجراني: "إن نجاد يستخدم الإمام الشيعي الثاني عشر للتغطية على فشله في كبح جماح التضخم في إيران". بدوره، استنكر المرجع الديني آية الله مهدوي كني أقوال أحمدي نجاد، متسائلاً: "لوكان مايجري الآن بإدارة من الإمام، لماذا لايستطيع أن يقضي على العصابات؟، ثم هل سعر كيلوغرام من الأرز هو أيضا من تدبيره؟"[43].

وفي نظرة تاريخية لظاهرة المهدوية يوضّح رفسنجاني مايلي: "في زمان حضرة علي (ع) إعتقد البعض بأن محمد بن الحنفية هو المهدي الموعود، وقال آخرون بأنه مختبئ في الجبل الرضوي وسيخرج في المستقبل، بينما اعتقدت فرقة أخرى بأن زيدا هو المهدي الموعود. وفي زمن الإمام الصادق قالت مجموعة أخرى بأنه المهدي، هذا في الماضي، أمّا في زماننا الحاضر فنجد أنّ **البهائيين** قد أحدثوا فتنة كبيرة داخل العالم الاسلامي، وكذلك فرقة الشيخية، ونرى في السودان كل يوم فتنة إدّعاء المهدوية، وفي العراق أيضا هناك أشخاص يدّعون الإتصال بالإمام المهدي ويريدون هدم حوزة النجف، وفي إيران لدينا الكثير من هذه الأحداث"[44]. وفي رده على ادّعاء الإتصال بالمهدي، يقول رفسنجاني: "يقول بعضهم أن لديه اتصالاً مع حضرة الإمام، ويحاول من خلال ذلك خداع الناس، هذا الأمر موجود باستمرار، واليوم نراه رائجًا بقوّة في إيران". ويضيف

---

(43) Ann Lambton, *Tetsion society under the Qajar: Journal of the Royal central Asian society*, 48, 4 Julay - octeber. 2012, p.130.

(44) كيليوت راتبي، المهدوية والبهائية، عمان: الأمل للنشر والتوزيع، 2011م، ص96.

رفسنجاني قائلا: "ليس هناك أيّ حجة على تلك الإدّعاءات، سواء عند القائل بها أوعند من يَتَّبِعه، أمّا مايقوم به فقهاء مجلس الخبراء ومجلس صيانة الدستور والعلماء والمراجع فيستند إلى الأدلّة الشرعية، لأنهم يأخذون من القرآن والسنّة الصحيحة وإجماع العلماء السّابقين، أو يعتمدون على الدليل العقلي القائم على هذه الأسس، أمّا الذين يدّعون بأنهم مكلفون من خلال الغيب فليست لديهم أيّ حجة أوسند".

وفي سياق مواجهة خطاب أحمدي نجاد المهدوي قال مرشد الثورة آية الله علي خامنئي في إحدى خطبه: "إنّ ادّعاء البعض أشياء غير واقعية، وبطرق خرافية مثل رؤية الإمام المهدي والتشرف بلقائه، والصلاة وراءه، هي برأيي إدعاءات مخجلة وبدع باطلة تهدف إلى زعزعة هذه الحقيقة المضيئة في قلوب المؤمنين، لذلك لاينبغي إهمال التعامل معها، ويجب على الناس أن يعلموا أن ادّعاء الإتصال بحضرة الإمام وأخذ الأوامر منه أمر باطل وغير قابل للتصديق". وأضاف خامنئي قائلا: "يمكن لإنسان سعيد أن تحظى عينه وقلبه بهذا الشّرف، وتقرّ عينه بذلك الجمال المبارك، لكنه وأمثاله ليسوا من المُدّعين الدّاعين لأنفسهم، أمّا غيرهم فهم بلاشكّ كذّابون ومفْترون"[45]. يؤكد هذا الإنتقاد الصريح من مرشد الثورة الإيرانية من جهة وعي خامنئي بالخطّ العقدي والسياسي الذي ينتهجه الرئيس السابق للجمهورية الإيرانية، ويُنبئ من جهة أخرى بحدوث شرخ في العلاقة بين الرجلين مستقبلا، وما أجّله هو التحدّي الذي كان يوحّدهما وهو تهديد التيار الإصلاحي الذي عزم على العودة إلى الساحة السياسية بقوّة منذ انتخابات 2009. فهِم محمود أحمدي نجاد فوزه في انتخابات 2009 على أنه نصْرٌ ربّاني كبير يضاف إلى انتصاره أمام الغرب بفرْض الإختيار النووي الإيراني، لذلك لم يلتفت إلى الإنتقادات والتحذيرات التي وُجّهت إليه بخصوص توظيفه لشخصية الإمام الغائب، حيث شهدت فترته الرئاسية الثانية مواقفَ وتصريحاتٍ عدة أصرّ فيها على وجود نوع من الإتصال بين حكومته

---

(45) ياسين ميرزا، فتنة المهدوية ومستقبل إيران السياسي، القاهرة: دار الهلال للنشر والطباعة، 2011م، ص29.

وشخصية الإمام المهدي. دفع تمسّك أحمدي نجاد بفكرة إتصال حكومته بالإمام الغائب مجموعةً من المفكرين والمتخصصين إلى تشديد حملاتهم هذه لكشف بطلان ادعائه، ومن هؤلاء علياكبر آشتياني الذي وجّه أسئلة بطريقة تهكّمية للرئيس السابق، ورد فيها: "إذا كان لديك اتّصال بإمام الزمان (عج) فخذ منه أجوبة لهذه الأسئلة: إسأله أوّلاً لمن الصورة الموجودة في منزلي والتي أحبها، واسأل حضرته ثانيا عن ماهيّة علاقة الحادث بالقديم (وهي مسألة فلسفية)، واسأل حضرته أيضًا أين يوجد شيء أضعته وأنا أبحث عنه منذ مدة طويلة؟". كما انتقد الكاتب والمحلّل السياسي سحاب فاطمي بدوره هذا الخطاب المهدوي القائم برأيه على الكذب، إذ قال: "لانشكّ في كون الثورة الإسلامية هي محطّ ألطاف إمام الزمان (عج)، وفي أنّ نفْع هذا الأمر يصل إلى البلاد والعباد، لكن ليس لأحد الحقّ في استغلال مفهوم الإنتظار والركوب عليه لتحقيق مآربه الخاصة، خاصةً وأنّ مرشد الثورة المعظم أوضح أنّ الإنتظار يعني الإستعداد الشامل الفردي والجماعي، والتحرك في اتّجاه تحقيق العدالة، لذلك ينبغي للناس الوقوف أمام الكذّابين وادّعاءاتهم المخجلة، مثل الإتّصال بإمام الزمان، وترويج الخرافات التي تساهم في تقبيح وجه النظام".

ولقد شدّد الكثير من الفقهاء والمتخصّصين في شؤون المهدوية على خطورة الخطاب المهدوي الذي اعتمدت عليه حكومة نجاد، إذ اعتبر الدكتور نقي بور الأستاذ في الحوزة الدينية والأكاديمي الجامعي أنّ ادّعاء الإتصال بالإمام المهدي علنيًا والترويج له وسط الناس بهدف حشدهم هو كذب محض، وجريمة بحسب طبيعة الأفعال التي استُغلّ فيها ذلك الإدّعاء. وعندما سُئل نقي بور: هل يجوز في ديننا أن يتّخذ مدير الدولة الإسلامية قراراتٍ بناءً على اتّصاله بالغيب وماوراء الطبيعة؟، أجاب: ينبغي للمدراء حلّ المشاكل واتّخاذ القرارات على أساس الموازين والمعايير الشرعية، وإذا برز أنّ هناك إتصالاً مع معصوم ما، فالأصل أنّ هذا الأخير يُرشد وفقًا لتعاليم القرآن والروايات.."[46].

(46) ياسين ميرزا، نفس المرجع، ص144.

لقد تأسس الخطاب المهدوي عند الرئيس محمود أحمدي نجاد على عقيدة مذهبية سياسية تؤكد الدورالتمهيدي الذي يؤدّيه نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية لحدث خروج الإمام المهدي المنتظر، وهو في ذلك يستند إلى أدبيات الثورة، خاصة ماكتبه وصرّح به مُرشداها الأول روح الله الخميني وخلفه علي خامنئي. ولقد عرفت الولاية الثانية لرئاسة أحمدي نجاد تركيزًا أكبر لهذا الخطاب في معظم أحاديثه وتصريحاته، إذ على خلاف الرؤساء السابقين أصرّ نجاد على افتتاح كل خطاباته وأحاديثه الرسمية بدعاء التعجيل بخروج الإمام الغائب، وممّا يوضّح نفوذ عقيدة المهدوية في خطاب محمود أحمدي نجاد السياسي أنه يربط كلّ ما يعتقده نجاحًا في أدائه بمساندة الإمام المهدي وتأييده، خاصّةً، من:

* فوزه على التيار الإصلاحي وإخراج زعمائه من الساحة السياسية.

* برنامجه الإقتصادي، خاصةً مايتعلق منه بترشيد دعم المواد الإستهلاكية.

* خطاباته أمام الجمعية العامّة للأمم المتحدة، والتي يعتبرها فتحًا عالميًا.

* تطوّرات الملف النووي ومواجهة الحصار والضّغوط الغربية.

ويشكّل وجود شخصية أسفنديار رحيم مشائي إلى جوار نجاد عاملاً محوريًا في الجدل الدائر في شأن عقيدة فريق الرئيس السابق لإيران، إذ تساءل الكثير من المراقبين والمحلّلين في شأن علاقة مشائي برواج الخطاب المهدوي وقوّته في الحكومتين الإيرانيّتين التّاسعة والعاشرة. ولقد وصف أحمدي نجاد صديقه رحيم مشائي في أكثر من مناسبة بالشخصية الشّفافة والمتفرّدة والمتسامية، والمتخصّص الكبير في الدراسات الإسلامية. في حين اتّهم الرجل من قبل فقهاء ومثقّفين وناشطين من مختلف الإتّجاهات بتهم شتّى، كان أهمّها ما وَصَفَ به المرجع آية الله محمد تقيّ مصباح الزديتيّار مشائي بأنه يمثّل "أكبر خطر عرفه الإسلام حتى الآن"، كما اتّهم بتزعّم جماعة سرّية منحرفة باسم (طريق الحقيقة) الشبيهة بالتنظيم الشيعي

(الحجتية)، إضافةً إلى اتّهامه بالترويج لنظريّة الإسلام الإيراني. وضعت هذه المعطيات وغيرها خطاب المهدوية في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية على المحكّ، خاصّةً بعد انطلاق الثورات العربية، وبروز أصوات إيرانيّة ترى أنّ هذه الإنجازات العربية من ثمرات الثورة الإسلامية ونتائجها، وعلامات على قرب خروج الإمام الغائب، هي الرؤية التي كرّسها وثائقي "خروج المهدي قريب جدا"[(47)].

منذ أن استقدم أحمدي نجاد صديقه رحيم مشائي إلى طهران ليكلّفه بمهام ثقافية في بلدية طهران، والعلاقة بين الرجلين كانت تسير في اتّجاه التوطيد، خاصةً بعد تتويجها برباط عائلي عندما تزوّج نجل أحمدي نجاد من إبنة مشائي، وعزّز ذلك من قرب مشائي إلى الرئيس السابق للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتقلّد مناصب ومسؤوليات وصلت إلى أكثر من عشر مسؤوليات، منها منصب وزير السياحة ونائب الرئيس ومدير مكتب الرئيس وممثل ديبلوماسي ومستشار. وبموازاة هذا الحضور القوي والمتزايد لرحيم مشائي، حاول الرئيس الإيراني أن يفتح له أيضًا أبواب مواقع سيادية تعتبر خطوطًا حمراء في الجمهورية الإسلامية مثل وزارة الخارجية ووزارة المخابرات، حيث استطاع أن يحقّق في الموقع الأوّل إنتصارًا بإزاحة وزير الخارجية السابق منوشهر متكي الذي كان يحظى بدعم من المرشد، بينما فشل في إزاحة المسؤول الأول عن "الصندوق الأسود" للنظام، إذ تدخّل خامنئي في الوقت المناسب ليلغي قرار إقالة وزير المخابرات حيدر مصلحي أفريل 2011. وممّا أثار استغراب مراقبين وشخصيّات إيرانية في مواقعَ مختلفة، هو دفاع أحمدي نجاد المستميت عن صهره رحيم مشائي وإعجابه الكبير بشخصيته، ممّا جعله تحت تأثير أفكار الرجل ورؤاه، ولا أدلّ على ذلك من تماهيه مع نظريّة المدرسة الإيرانية التي يروّج لها مشائي، خاصّةً ما صرّح به في الحفل الأخير الذي أُقيم في مناسبة بدء السنة الإيرانية الجديدة

(47) R. K. Ramazani, *the foreign policy of Iran, Adeveloping Nation In world Affairs, 1995-2012*, Virginia, 2013, p.137.

في طهران[48]. يبني بعض المحلّلين الإيرانيين توصيفًا لهذه العلاقة بتلك التي تقوم عادةً بين المريد والشيخ، حيث يؤدّي أحمدي نجاد دور المريد بين يديْ مدير مكتبه السابق، في حين أكّد آخرون أنّ مشائي هو عقل الرئيس الباطن: فلقد عُرف أسفنديار رحيم مشائي بتصريحاته المثيرة للجدل مثل قوله إنّ الشعب الإسرائيلي صديق للشّعب الإيراني، وانتقاد المنهج الرسمي في دعوة الناس للإسلام، ودعوته إلى اعتماد مدرسة الإسلام الإيراني التي تمزج بين عناصر القوميّة الفارسية وتعاليم المذهب الشيعي الإثني عشري، وادّعائه بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم إيراني الأصل. أمّا الذين اتّهموا مشائي بإدارة تنظيم "طريق الحقيقة" فيقولون إنّ هذا التنظيم وُلد من رحم تنظيم "الحجتية" المنحرف، ويؤمن بتجاوز الصدام مع الغرب وتبنّي النموذج التركي سياسيًّا، ويهدف إلى إبعاد رجال الدين والمراجع عن التأثير في المجتمع الشيعي، ويرى أنّ الوصول إلى الحقيقة يمكن أن يتمّ من خلال الروح الإنسانية، وأنّ المحبّة هي وسيلة الإسلام في التعامل مع الآخرين، وأنه ينبغي استبعاد فكرة الجهاد من عقول المسلمين، وأنّ أقصر طريق للعدالة هي التأكيد على المحبّة الإنسانية والسّلام الداخلي، وهي نفس الأصول التي دافعت عنها البهائية إن لم تكن إستنساخا لها في صورة عصرية. لقد أوجد هذا التوجّه وضعًا حسّاسًا وملتبسًا برز بقوّة في الداخل الإيراني وفي الخارج مع تطوّرات الثورة العربية وتحوّلات المنطقة، ممّا دفع بشخصيات النظام الإيراني ورموزه إلى دقّ ناقوس الخطر، والمطالبة بمحاصرة التيار الذي يبدو أنه سيطر على موقع رئاسة الجمهورية، حيث وصفه المنتقدون بـ"الفتنة القادمة" و"الأصولية المنحرفة" و"الماسونية". وفي هذا الصدد يقول سكرتير مجمع تشخيص مصلحة النظام محسن رضائي: إنّ ولاية الفقيه ومؤسسة المرشد هما الجديران بمواجهة الإنحراف الجديد - مشيرًا إلى هذا التيار -، بينما صرّح مرتضنبوي عضو المجمع ذاته قائلاً: "تميّزت حكومة أحمدي نجاد بمحاربة التيارات البورجوازية، لكن

---

(48) لورانس لاكهارت، إنقراض السلسلة الصفوية، ترجمة: إسماعيل دولتشاهي، طهران: دار نشر بنكاه، 2012م، ص47.

للأسف إلتفّ حول الرئيس مجموعة من المنحرفين الذين يعملون لتحقيق أهدافهم من خلال بثّ آرائهم الخاصة واستغلال إعتقاد الناس في المهدوية"، وأضاف: "في عالمنا المعاصر هناك بشر بصفات شيطانية يستطيعون التأثير في الأذهان، وربما هذا التيار المنحرف المحيط بالرئيس له علاقة بهذه الموجودات، واستطاع أعضاؤه التأثير في تفكير الرئيس". وقد أيّد ممثل خامنئي في الحرس الثوري حجة الإسلام ذو النور هذه المواقف في تصريح نقلته وكالة الأنباء الإيرانية (إيسنا)، قال فيه: "يتمسك أحمدي نجاد بحبل مشائي المهترئ، لأن لديه إرادة خاصة لمشائي، إذ سبق له أن وصفه بقوله: مشائي قمّة، وفي مكان آخر قال عنه: مشائي يدرك الأمور التي نعجز نحن عن إدراكها"، وأضاف: "هؤلاء الأشخاص ليس لديهم مقدار ذرّة من الإيمان بولاية الفقهاء، ويُروّجون لإسلام بلا فقهاء، واليوم مشائي هو رئيس الجمهورية الحقيقي، لأنه يتدخّل في شؤون كلّ الوزارات..أرجو من الله أن يحفظ الرئيس من شرّ هذا الإنسان".

وفي الأسبوع الثاني من شهر جوان 2011 وجّه عضو البرلمان حجّة الإسلام حسين إسلامي تحذيرًا واضحًا إلى الرئيس أحمدي نجاد يدعوه فيه إلى رفع الغطاء عن التيار "المنحرف" الذي يحيط به، فقال: "لقد حذّرنا رئيس الجمهورية بخصوص اتّساع نفوذ التيار المنحرف، لكنه للأسف لم يأخذ تحذيرنا على محمل الجدّ، لذلك ينبغي لأحمدي نجاد الذي نحبّه أن يعلم أنّ لصبر أعضاء البرلمان حدوداً". وفي هذا السياق يمكن فهم رغبة مرشد الثورة علي خامنئي في إبعاد رحيم مشائي عن مراكز القرار، خاصّةً بعد استقالته من منصب مدير مكتب الرئيس، التي قيل إنها كانت بإيعاز من المرشد، وترويج إتهامات بوقوفه وراء نشر قرص "الخروج قريب جدا"، واحتمال متابعة أحد مقرّبيه حجة الإسلام عباس أميري فر السكرتير العام لـ"جامعة الوعاظ الولائيين"، ورئيس المجلس الثقافي في رئاسة الجمهورية الإيرانية وإمام المسجد بها، بالوقوف وراء إعداد الوثائقي المذكور ونشره. في حين نَفى رحيم مشائي أيّ علاقة له بتلك الإتهامات.

من الخطأ الإعتقاد بأنّ الأزمة القائمة بين فريقيْ الرئيس أحمدي نجاد

والمرشد علي خامنئي وليدة حسابات مستجدّة، لأنّ الخلاف بين الطرفين يعود إلى سنوات مَضت، إلّا أنّ المصالح المشتركة وأولويّات المرحلة أجّلت التصفية إلى هذه المرحلة. وقد أوضح حجة الإسلام والمسلمين مهدي طائب رئيس المجلس المركزي لتنظيم "معسكر عمار" هذه الحقيقة يوم السابع من جوان 2011 بقوله: "إنّ أتباع آية الله خامنئي شعروا بخطر فريق أحمدي نجاد منذ ستّ سنوات، ويعتقدون أنّ مشائي ومهدي هاشمي يجسّدان طرفي مقصّ يريد قص النظام الإسلامي". ولاشك أنّ جذور الخلاف تمتدّ إلى رؤية الطرفين وفهمهما لمجموعة من المعتقدات والقضايا المذهبية، على رأسها عقيدة المهدوية والنموذج الإسلامي للدولة. فعندما يتحدث أحمدي نجاد مثلاً عن الإمام المهدي المنتظر، فهو لا يقصد بالضّرورة المهدي الذي يتحدّث عنه خصومه في تيار المرشد، رغم أنّ مهدي الفريقين بحسب روايات المذهب وأدبياته رجلٌ واحد. لكن الذي يحصل هو أنّ الإمام المهدي عند أحمدي نجاد رجل يبارك أعماله ويدعم حكومته وبرنامجه الإقتصادي، الأمر الذي يستنكره الفريق الآخر ويعتبره توظيفًا سياسيًا للمهدوية، واستغلالاً لمشاعر البسطاء من الإيرانيّين، إضافةً إلى أنّ هذا الخطاب يشكّل تجاوزًا للخطوط الحمراء العقدية، لأنّ الذي يفترض أن يتلقّى دعمًا مباشرًا من الإمام الغائب هو نائبه الوليّ الفقيه ومرشد الثورة آية الله علي خامنئي، وليس شخصًا آخرَ في النظام.

أمّا حين يذكر أحمدي نجاد ومدير مكتبه السابق رحيم مشائي مصطلح الإسلام الإيراني، فإنّهما يثيران تخوّفات حرّاس نظام الجمهورية الإسلامية من تلك الغاية التي يخُفيها مصطلح "الإسلام الإيراني"، يقول أحمدي نجاد: "نحن نريد النموذج الإسلامي الإيراني، إسلامي بمعنى أن يكون هدفنا ونموذجنا إسلاميًّا، وإيراني بمعنى أن نبنيَ البلاد بالأساليب الإيرانية، وبالطبع هناك نقاشٌ آخر تحت عنوان (الإسلام الإيراني)، سنفتحه في مكان آخر". حيث يعتقد أنّ الشّرخ الحاصل بين المرشد آية الله خامنئي والرئيس أحمدي نجاد لايعدو أن يكون صراع مواقع، بينما كشفت المعطيات التي سلّطنا عليها الضّوء في هذا المبحث أنّ جذور مايجري اليوم من حراك داخل الجمهورية الإسلامية يمكن رصد ملامحه في تاريخ المذهب، حيث لم

يستطع الإثناعشريون التخلّص بعد من الجدل الذي صاحب قضيّة المهدوية طوال أكثر من ألف عام. ولاشكّ أنّ فهم التيار الإصلاحي لولاية الفقيه وخروج المهدي يختلف بدرجات عن فهم التيارالمحافظ لهذيْن الأمرين، كما أنّ التيار المحافظ ليس كتلة كاملة التجانس ففيه بالطبع قراءاتٌ متقاربة، لكنها ليست بالضّرورة متطابقة كما يظنّ البعض، ذلك أنّ الممارسة السياسية ساهمت في إبراز الإختلافات الفقهيّة بين الفاعلين.

إنّ إصرار أحمدي نجاد على فكرة إتّصال حكومته بإرادة الإمام المهدي المنتظر وتدبيره، قد يفسّر من جهة بنوع من الإنجذاب الشّعوري، ومن جهة أخرى قد يعني تنزيلاً واقعيًّا لفهمه بخصوص دور المهدي وحضوره وأبعاد شخصيّته. ومن الطبيعي أن تنسحب هذه التصوّرات على أداء أحمدي نجاد السياسي، وهنا يكفي العودة إلى قضية: "لماذا أُقيل متكي؟"، كون أنّ أحمدي نجاد كان "يرى نفسه رئيساً إستثنائياً في أوضاع حاسمة.."، حيث أظهر حادث إقالة متكي أنّ الرئيس السابق لإيران بدأ يستخدم أسلوبًا غير مسبوق في تاريخ رئاسة الجمهورية، وهو ما أثبته بعد ذلك قرار إقالته لحوالي 13 مستشارا، وبعدها قرار إقالة وزير المخابرات حيدر مصلحي، والذي أبطله خامنئي برسالة بعث بها إلى مصلحي، ثم ما صاحب هذا القرار من ردود أفعال كشفت أنّ رئاسة الجمهورية في إيران باتت بين يديْ تيّار لا يرى بالضرورة نفسه تابعًا ومطيعًا لأوامر خامنئي. وذهب مراقبون وسياسيّون إيرانيون إلى القول إنّ أحمدي نجاد أصبح في قبضة تيار يتزعّمه مدير مكتبه السابق رحيم مشائي، والمتّهم بالإنحراف العقدي واستغلال عقيدة المهدوية لأغراض سياسية، ممّا دفع أنصار خامنئي إلى المطالبة بمحاصرة هذا التيّار واقتلاعه من جذوره نظرًا لما يشكّله من خطر على مستقبل النّظام. كما لا يمكن غضّ الطرف هنا عن حضور البعد الإقليمي والدولي في الإختلاف بين التيارين، فحين نتحدّث عن المهدوية فنحن بالضّرورة نتحدّث عن تحرّك إقليمي ودولي، وقد عمد أحمدي نجاد محاولا إنشاء جهاز دبلوماسي في رئاسة الجمهورية موازٍ لوزارة الخارجية. ربّما تكون هذه التطوّرات مقدّمة لأزمة جديدة في إيران، تتمايز عن سابقاتها في العناصر التالية:

* أوّلاً: تحدث في دائرة المحافظين المؤثّرة في المؤسسات الكبرى للنظام، أي مؤسسة المرشد، رئاسة الجمهورية، البرلمان، الأجهزة الأمنية والعسكرية، الأجهزة الإعلامية. لأنّ للطرفين، تيار خامنئي وتيار أحمدي نجاد، حضوراً في هذه المؤسّسات.

* ثانيا: جذورها العقدية والمذهبية.

* ثالثا: تعالج مؤسسة المرشد الوضع وهي أقلّ قوةً وتماسكًا من أيّ وقت مضى، وذلك بعد تخلّي خامنئي عن رفيق عمره وسنده هاشمي رفسنجاني (ترك رئاسة مجلس الخبراء بضغوط من تيار خامنئي، وينتظر أن يتكرّر الأمر في مجمع تشخيص مصلحة النظام)، ثم انحياز خامنئي إلى التيار المحافظ بعد انتخابات 2009، وصمْته أمام ما يجري من تحييد للتيار الإصلاحي من الساحة السياسية، ومايروّج عن مرضه مع غياب مرشح لمنصب المرشد يحرز حدا أدنى من القبول عند الجميع.

* رابعا: تأتي هذه الأزمة ضمن متغيرات دولية وإقليمية حسّاسة ومتقلبة، خاصةً مايحدث في سوريا التي تعتبرحليفًا هامًّا للنّظام في طهران.

إنّ هذه الإعتبارات تدفعنا إلى توقّع مفاجآتٍ على مستوى دور المهدوية في الحراك السياسي الإيراني، وربما لن تخلو المرحلة المقبلة من مفاجآتٍ في تاريخ الصّراع السياسي المذهبي داخل هذا البلد، خاصّةً أننا أمام ثلاثة تيارات رئيسية فيما يتعلق بفهم مسألة المهدوية ودورها السياسي:

- التيار الأول: ويجمع التيار الإصلاحي المتدين والتيار البراغماتي بزعامة هاشمي رفسنجاني، ويرى هؤلاء في انتظار الإمام المهدي ووجوده قضية روحية فكرية محفّزة للفعل، وينفون وجود أيّ علاقة بين الإمام المهدي والثورة الإيرانية أو أيّ شخص في النظام، فالثورة الإسلامية في نظرهم تجربة بشريّة سياسية، والفاعلون فيها سياسيون متنافسون.

- التيار الثاني: يلتقي فيه أنصار المرشد علي خامنئي بمن فيهم فقهاء ومراجع، هؤلاء يرون في خامنئي النائب الشرعي للمهدي المنتظر، وعليه فإن صلاحياته الدينية والدنيوية مطلقة، وتشمل كلّ صلاحيّات الغائب حتّى

خروجه، ويعتبرون كلّ من يدّعي الإتّصال بالإمام المهدي كذابًا ودجّالاً يسعى إلى تحقيق أهدافه وراء ستار المهدوية. وفي داخل هذا التيار هناك أيضا من يعتقد بوجود إتّصال مباشر بين خامنئي والمهدي المنتظر.

- التيار الثالث: يضم أحمدي نجاد وأتباعه والمقرّبين منه، ويعتقد هؤلاء أنّ أحمدي نجاد رجل مؤيَّد من المهدي، وأنّ حكومته تتلقّى الدعم من الغائب، وأنّ كل نجاحات الرئيس هي دليلٌ على هذا الأمر. وبحسب المعطيات المتوفّرة حتّى الآن، يُعتقد أن يكون هذا التيّار أو بعض المنتمين إليه وراء الحراك المهدوي ووثائقي "الخروج قريب جدا" الذي أشرنا إليه في بداية هذا المبحث. حيث اتهم الحرس الثوري الإيراني فريق الرئيس الإيراني بالإنتماء لجماعة "المشائية" المرتبطة بـ"المنظمة السرية اليهودية". وقال موقع هيئة علماء المسلمين في العراق إن موقع "بصيرت" التابع للحرس الثوري نشر مقالاً ذكر فيه أن بحوزته وثائق وإثباتات عن ارتباط جماعة "المشائية" التي ينتمي إليها نجاد بالأجهزة الإستخبارية الغربية والحركة الماسونية، وأكد الموقع أنه سينشر هذه الوثائق قريباً.وأضاف موقع "بصيرت" أن شعارات الجماعة "المشائية" الدعائية لا تذكرنا بانطلاق الفلسفة الإنسانية والمدرسة الليبرالية الرأسمالية، فحسب، بل تعيد إلى الأذهان شعار الفكر الماسوني أيضاً. واتهم الناشط السياسي الإيراني المعارض مهدي خزعلي - نجل المرجع الشيعي خزعلي المعروف بدعمه نجاد - إسفنديار رحيم مشائي رئيس مكتب أحمدي نجاد ونسيبه وبعض السياسيين المعروفين في إيران بالإنتماء إلى "الفرقة الآنوسية اليهودية" التي تتخذ من مدينة مشهد الدينية مركزا لنشاطاتها. ومما هو معروف في الأوساط الإيرانية البورجوازية، أن الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد إكتسب إسم أسرته الحالي - أحمدي نجاد - بعدما غير اسم أسرته اليهودية في شهادة الجنسية من "سابورجيان" إلى "أحمدي نجاد". كما أشارت تقارير إيرانية إلى أن أصول آية الله مصباح يزدي ومحمد علي رامين أحد مستشاري أحمد نجاد يهودية[49].

(49) مزداك موسوي، القبضة الخفية في إيران، بيروت: دار الكتاب العربي، 2012م، ص73.

علما أن الفرقة الآنوسية تضم الذين أرغموا على ترك دينهم بمعزل عن إرادتهم، إلا أنهم بقوا متمسكين بعقيدتهم الدينية سرا ويمارسون طقوسهم بعيدا عن الأنظار. كما سجلت نفس التقارير ما يتعلق منه بإسفنديار رحيم مشائي، أحد أهم أعضاء فريق أحمدي نجاد وانتمائه إلى جماعة "المشائية الآنوسية المرتبطة بالماسونية"، والتي يطلق عليها في الأوساط المحافظة الأصولية مسمى "التيار المنحرف" للتعبير عن جماعة الرئيس السابق لإيران[50]. هي أوضاع وقيم قد تقوض قوة إيران الداخلية وما قد ينعكس على مستقبل السلوك الخارجي الإيراني.

---

(50) نفس المرجع، ص122.

خاتمــة

وبناءً على ما سبق، يمكن القول أننا وقفنا من خلال هذه الدراسة على قطب الرحى وقضية من القضايا الحساسة التي ترتبط مباشرة ومستقبل العالم الإسلامي، ألا وهي حقيقة التصهين الإيراني: والتي تكشف عن طبيعة العلاقة بين النظامين الإيراني والإسرائيلي. في الحقيقة، لا يمكن الفصل في هذا الموضوع وعند حديثنا من خلال هذه العلاقة وتلك المصفوفة العقدية القيمية، الجانب المعنوي والروحاني، لتتحول العلاقة إلى يهود وشيعة، وهي علاقة في غاية من التعقيد، كون كلا الجانبين حريص كل الحرص على تصدير خطاب إعلامي مضلل، كما أن مبدأ التقية معمول به عند كل من بهائية وشيعة إيران واليهود، وفوق هذا وذاك، باتت السياسة لا أخلاق لها، والمصلحة تعلو كل مبدأ مهما سما.

وعند الرجوع إلى مضامين الفصل الأول من الدراسة والشواهد الواردة في الفصل الثاني، نكتشف زيف الإدعاء القائل بأن إيران والكيان الصهيوني عدوان، غير أن هذه المقارنة لا تصب على أية حال في الإتجاه المعاكس، بل إن خلاصة ما يخرج به هذا العمل، هو أن للكيان الصهيوني ولإيران مصالح مشتركة يتوافقان عليها، وإلى جانب هذه المصالح هناك خلاف على أمور أخرى، فهما عليها ما بين شد وجذب، في جو يسوده في غالب الأحيان لغة التوافق وتمرير المصالح.

نخلص من هذا إلى نتيجة مفادها أن العلاقة الإيرانية مع الكيان الصهيوني علاقة مصالح، وأن الخلافات بين الكيان الصهيوني وإيران لم

تصل على أية حال إلى مربع العداء، ولن تصل على ما يبدو طالما بقي العدو المشترك بين اليهود والشيعة والبهائية، والذي تمثله الدول العربية والإسلامية التي تدخل في دائرة الهلال السني.

والملاحظ أن هذه العلاقة في أسوأ أحوالها لا تعدو أن تكون مناوشات عسكرية على أرض محايدة، وهذا ما حدث في حرب لبنان 2006م، فلم يكن للبنان في هذه الحرب ناقة ولا جمل، وإنما كانت عبارة عن مناوشات بين الثالوث (الأمريكي والإسرائيلي والإيراني)، وقد كسب منها الجميع والخاسر الوحيد كان لبنان.

وهناك الكثير من الشواهد التي تطرقنا لها سابقا في سطور هذه الدراسة مؤيدة لهذه الخلاصة، وتشهد على قوة العلاقات بين إيران والكيان الصهيوني على كافة المستويات، بل إن إيران إستعانت بخبراء إسرائيليين في المجال الحربي وهو الأمر الذي فضحته قضية "إيران غيت" التي كشفت زيف الإدعاءات الإيرانية، حيث كشف للعالم أن سيلا من الأسلحة وقطع الغيار كان يشحن من أمريكا عبر إسرائيل إلى طهران أثناء حربها مع العراق.

إلى جانب هذا العمق المتصهين لإيران الذي ساهم فيه الثالوث (الإسرائيلي، الأمريكي، الإيراني) يقابله ثالوث عقدي قيمي (يهودي، بهائي، شيعي)، حيث تلتقي خطوطها الروحية المؤدلجة في مسألة (المهدي) من الوجهة الشيعية - البهائية، و(المسيح الدجال) من الوجهة اليهودية، أو ما يعرف عندهم ب: (المسيا المنتظر) كعتبة التلاحم الصهيوني الإيراني. وفي هذا الأمر لا بأس أن نذكر هنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة). ففي هذا الحديث إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بأن يهود إيران سيكونون من أتباع المسيح الدجال، بل سيكونون من أول أتباعه وسيخرج الدجال فيهم، بحسب روايات أخرى، وفي ذلك يقول الحافظ إبن كثير: "يكون بدء

ظهوره من أصبهان، من حارة منها يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي عليهم الأسلحة والتيجان وهي الطيالسة الخضراء"[1].

(1) الحافظ إبن كثير، النهاية في الملاحم والفتن، الجزء الأول، لبنان -بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ النشر، ص88.

المراجع والمصادر

1 - القرآن الكريم.

أ - الكتب:

1 - باللغة العربية:

3 - آمال السبكي، تاريخ إيران بين الثورتين (1979/1906)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999.

4 - إدريس ماجد، النظام الإقليمي للخليج العربي، عمان: دار يافا للمنشورات المفيدة، الطبعة الأولى، 2006.

5 - أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي، الكويت: شركة كاظمة للنشر والتوزيع، 2005.

6 - أنور الجندي، المؤامرة مع الإسلام، القاهرة: دار الطليعة، 1998.

7 - أناتوني ديلفرسكي، مذكرات دالفوركي، تر: محمد سيد أحمد، بيروت: دار ابن خلدون، 1995.

9 - إحسان إلهي ظهير، البابية عرض ونقد، إسلام آباد: دار نهاوند، 1981.

10 - إبن قدامة، المقنع، الجزء الرابع، بيروت: دار التراث الإسلامي، 1981.

11 - إبراهيم الدسوقي، شتاء الثورة الإيرانية: الجذور الإيديولوجية، بيروت: دار الكتب، 1979.

12 - أل شاتيليه، الغارة على العالم الإسلامي، تر: هشام شرابي، بيروت: دار الفكر العربي، 1994.

13 - المرتضي الماطبطائي، عبد الله بن سبأ في حضرة العلماء، سامراء: دارنافع للنشروالتوزيع، 2002.

14 - الستار الرملي، بهاء الله والعصر الجديد، بغداد: دار القضايا، 1988.

15 - أبو الفتوح سكندراني، مدخل إلى الجغرافيا الإقتصادية، الدوحة: دار المقروئية ناشرون، الطبعة الأولى، 2007.

16 - جمعة أمين عبد العزيز، عليك بالفقه واحذر من الشرك، دمشق: دار الفكر، 2003.
17 - حيدر جميل، قراءة في كتاب الحكومة الإسلامية، بيروت : دار النفائس، 2003.
18 - راشد الغنوشي، مقالات حركة الإتجاه الإسلامي، الكويت: منشورات ذات السلاسل، 2003.
19 - رجاء غارودي، ملف إسرائيل، دون بلد النشر، دون دار النشر والطبعة والسنة.
20 - سالم البهنساوي، السنة المفتري عليها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006.
21 - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، بيروت: دار الطليعة، 1979.
22 - عمر التلمساني، حسن البنا الملهم الموهوب، عمان : الأهلية للنشر والتوزيع، 1999.
23 - عباس خامة يار، إيران والاخوان المسلمين، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2006.
24 - عبد الله النفيسي، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، عمان: دار الشروق والتوزيع، 1999.
25 - عبد الحميد متولي، أزمة الفكر السياسي الإسلامي، بيروت: دار ابن خلدون، 2002.
26 - عبيد ناصر الفهد، جيوبوليتيكيا العالم الإسلامي، الرياض: دار العبيكان، الطبعة الثانية، 2004.
27 - علي المازندراني، الكواكب الدرية في ظهور البابية والبهائية، بيروت: دار النهار، 1989.
28 - عمر فروخ، مصطفى الخالدي، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، بيروت: دار العودة، 1999.
29 - عبد المنعم سعيد، الجغرافيا السياسية للعالم العربي، القاهرة : مكتبة مدبولي، 2003.
30 - فتحي يكن، المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1997.
31 - كيليوت راتبي، المهدوية والبهائية، عمان: الأمل للنشر والتوزيع، 2011.
32 - لورانس لاكهارت، إنقراض السلسلة الصفوية، تر: اسماعيل دولتشاهي، طهران: دارنشر بنكاه، دون الطبعة وسنة النشر.
33 - مزداك موسوي، القبضة الخفية في إيران، بيروت: دار الكتاب العربي، 2012.
34 - محمد باقر السيزواري، إيران وزمن الغيبة، عمان: مركز الكتب الأردني، 2011.
35 - محمد قطب، الثابت والمتغير في حياة البشر، القاهرة: دار الشروق، 2008.
36 - محسن عبد الحميد، حقيقة البابية والبهائية، الشارقة: دار الجيل الجديد يافع، الطبعة الثانية، 2003.

37 - محمود عبد الحليم، الاخوان المسلمون أحداث صنعت، الجزء الثاني، القاهرة: دار حوران، 2003.

38 - محمد مهدي عاكف، الإمام حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين، بيروت: دار الحقيقة، 2005.

39 - محمود غزلان، مرة أخرى نحن والشيعة، لندن: دار السامي، 2004.

40 - محمد حامد أبو النصر، حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2000.

41 - محمد عمارة، الدولة الإسلامية، بيروت: دار الساقي، 2004.

42 - هادي خسروشاهي، نظرة إلى التراث الفكري والإجتماعي للشيخ حسن البنا المؤسس والمرشد للإخوان المسلمين، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002.

43 - هاني خلاف، أثر الفرق الهدامة على حاضر ومستقبل العالم الإسلامي، بيروت: دار القضايا، 1988.

44 - ياسين ميرزا، فتنة المهدوية ومستقبل إيران السياسي، القاهرة: دار الهلال للنشر والطباعة، دون الطبعة وسنة النشر.

45 - يوسف القرضاوي، أمتنا بين قرنين، بيروت: دار النقاش للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.

46 - وجيه كوثراني، سلطان الدولة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2010.

47 - وزارة الثقافة والإعلام، فصول في النزاع العراقي الإيراني، بغداد: دار الطليعة للكتاب العربي، الطبعة الثانية، دون سنة النشر.

48 - وليم غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، تر: وليد نايف، القاهرة: مكتبة الشروق، 2004.

2 - بالإنجليزية:

49 - Mansol Bayat, *Maysticim and Dissent, Socioreigios Thought in Qajar Iran*, London, 2009.

50 - Curzon George. N, *Persia and Persian Question*, London, 2010, voll I.

51 - R.K.Ramazani, *The Foreign Policy Of Iran, Adeveloping Nation In World Affairs 1995-2012*, Virginia, 2013.

52 - E.Kerdouie and Sylvia G.Haim, *Towards a Modern Iran*, London, 1980.

ب - موسوعات:

باللغة العربية:

53 - محمد مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، المجلد الأول، بغداد: دار المخطوط، 1988.

54 - فتحي يكن، الموسوعة الحركية، الجزء الأول، بيروت: دار الطليعة للنشر، 2002.

ج - المجلات:

1 - باللغة العربية:

55 - كاظم يوسف، تاريخ الأطماع الغربية في إيران، "صحيفة النهار البيروتية"، العدد 1023، الصادرة في 19/ 09/ 1979.

56 - عبد الوهاب المرتضي، السبئية... أصول منهجية للدولة الرافضة، "صحيفة القدس الكويتية"، العدد 156، الصادرة في 3/ 1/ 1981.

57 - عمر التلمساني، شيعة وسنة، "مجلة الدعوة"، العدد: 105، 1985.

58 - التحرير، مع نواب صفوي، "مجلة المسلمون"، المجلد 5، العدد الأول، 1956.

2 - باللغة الإنجليزية:

59 - Am Lombton, *Testsion Society under the Qajar: Journal of the Royal central Asian Society*, N°48, July/Octobre, 2012.